جامعة المنصورة

كليـة الآداب

النحـــو والإيقـــاع والـــــدلالة

دراسة في سورة الرحمن

الدكتور

السيد علي خضر

أستاذ النحو والصرف المساعد

كلية التربية – جامعة المنصورة

مجـلة كلـــية الآداب – جامعـــة المنصـــورة

العدد الخمسون – يناير ٢٠١٢

النحو والإيقاع والدلالة

دراسة في سورة الرحمن

د.السيد على خضر

مقدمة

جمع النحاة العرب كل ما يتعلق بتركيب الكلام وصنفوه بضم النظير إلى نظيره واستخرجوا منه مجموعة القواعد النحوية المنظمة لكلام العرب ، وصار من السهل على دارس النحو أن يحدد موضع كل كلمة في الجملة اعتماداً على المعنى والقرائن اللفظية والسياقية المتنوعة فيما صار يُعرف في النحو بظاهرة الإعراب .

لكن الدرس النحوي العربي ظل في مجمله يعمل داخل إطار الجملة ، بمعنى أن وحدته الكبرى التي عمل على درسها وتحليلها كانت الجملة بحدودها المعروفة في العربية ، ولم يتجاوز ذلك في الغالب إلى دراسة النص كاملاً ، وقد صار للنص علم جديد في الدرس اللغوي والنحوي المعاصر فيما صار يعرف بعلم النص ونحو النص ، وهو يأخذ بعض معطياته من نحو الجملة ليتجاوز حدودها إلى دراسة النص كله بطريقة مغايرة لما كان عليه الدرس النحوي التقليدي .

وقد كان تعامل النحاة مع التركيب اللغوي في حدود الجملة الواحدة سبباً أساسياً في إهمال النحاة لدور المؤثرات الصوتية الإيقاعية في بناء الجملة ، وبخاصة في الفواصل القرآنية والقوافي والسجعات .

وكان سيبويه في الكتاب يربط دائماً بين بنية التركيب اللغوي ودلالته ويذكر الأوجه المختلفة للتركيب مع تغير الحركة الإعرابية ، ولكن الأمر اختلف من بعده ، حيث أهمل كثير من النحاة هذا الجانب فانشغل به علم المعاني من علوم البلاغة العربية ليحاول البلاغيون أن يسدوا هذا النقص بالبحث في دلالات التركيب وجمالياته كالتقديم والتأخير والحذف والإسناد وألوان الخطاب.

أما بحث النحاة لعلاقة النحو بالإيقاع فقد لقي اهتماماً أقلَّ كذلك بسبب الانشغال بنحو الجملة ، والإيقاع في الغالب يتجاوز حدود الجملة الواحدة .

وهدفنا الأساس في هذه الدراسة بيان بعض وجوه التعانق والتداخل بين تركيب الجملة القرآنية وإيقاعها ودلالتها من خلال الدرس التطبيقي على سورة الرحمن .

وقد جعلت الدراسة في مبحثين :

المبحث الأول : المصطلحات : النحو والإيقاع والدلالة .

المبحث الثاني : سورة الرحمن : دراسة في ضوء معطيات النحو والإيقاع والدلالة .

المبحث الأول

المصطلحات : النحو والإيقاع والدلالة

أشير في بداية هذه الدراسة إلى أن دراستنا للمصطلحات الثلاثة (النحو والإيقاع والدلالة) ستكون في حدود ما يختصّ بدراسة السورة الكريمة ، وسنقتصر من درس الإيقاع على ما يخصُّ التركيب اللغوي كالفاصلة القرآنية فهي دراسة بمثابة التمهيد لتناول السورة من منظور محدد ، وإلا فإن هذه المصطلحات وما يتعلق بها أوسع مدى وأكثر تشعباً مما سنورده هنا .

المصطلح الأول : النحو :

نتحدث هنا عن معالم المعرفة النحوية اللازمة لمتابعة الدرس والتحليل اللغوي ونتناول ذلك في المسائل الآتية :

١- ماهية المعرفة النحوية .

٢- أسس المعرفة النحوية المكتسبة .

٣- المعرفة الإعرابية .

٤- طبقات المعرفة النحوية .

١ - ماهية المعرفة النحوية :

إن القاعدة الأساس في المعرفة النحوية الفطرية أن الناس يتكلمون ، وكلامهم مفهوم ما لم تعترضه عوامل غير معتادة كالمرض أو تعمّد اللبس أو الغموض .. هذه حقيقة يعرفها دارسو اللغة ، وذلك الكلام المفهوم إنما فُهم لوجود عناصر ضابطة له أهمها في الحقيقة الطريقة التي رُكِّب بها ذلك الكلام ، وهو ما

نسميه القواعد النحوية ، وهي قواعد يكتسبها الفرد مع كلمات اللغة التي يتلقاها من المجتمع حوله دون أن يدرس كتاباً في النحو ، إن عقل الإنسان مجهز بخاصية أن يكون لغوياً كما يقول بنكر :" لا بد إذن أن يحويَ العقل وصفة أو برنامجاً يمكنه أن يبني عدداً غير متناه من الجمل مستخدماً قائمة محدودة من الكلمات ، ويمكن أن يسمى هذا البرنامج " نحواً عقلياً " ويجب ألا يخلط بينه وبين الأنحاء الأسلوبية أو التعليمية التي لا تزيد عن كونها دليلاً إرشادياً للتقاليد المرعية في النثر المكتوب " [١] ولا شك أن هذه الأفكار ترتبط بأفكار تشومسكي في نظرية النحو التوليدي ، حيث تعدّ المقدرة النحوية مقدرة على توليد عدد غير محدود من الجمل من خلال معرفة مجموعات سابقة من الكلمات والجمل المختزنة في الذاكرة .

إن فطرة الله التي فطر الناس عليها تتضمن كون بني آدم ناطقين متكلمين كما قال تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن :١– ٤) .

والمعرفة اللغوية فطرة وجبلّة ركزها الله في البشر يوم خلقهم ، ومن ضرورات اللسان أن يكون مفهوماً، وكونه مفهوماً يستوجب وجود أنظمة فطرية وضعت فيه منذ البدء لتجعله مفهوماً ، هذه الأنظمة هي ما نسميه في هذه الدراسة المعرفةَ الغريزية أو الفطرية بالنحو أي بالقواعد العامة لتركيب الكلام ليكون مفهوماً للمتلقي ، يستوي في ذلك أن يكون فصيحاً أو عامياً ، والعاميات في الواقع بنات صغيرات للفصحى يأخذن منها ويرجعن إليها ، وهذه الفطرة لا تكاد تتخلف إلا في أحوال

[١] – ستيفن بنكر : الغريزة اللغوية : ٢٩ ، ترجمة : د/ حمزة بن قبلان المزيني ، نشر: دار المريخ ، الرياض ، السعودية ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

خاصة كالمرض أوالجنون وما أشبه ذلك ، وقد أصبح من الممكن ملاحظة " أن أنواعاً معينة من التخلف العقلي أو إصابات الدماغ تترافق دوماً مع مصاعب لغوية جمة ، لاسيما النحوية منها " [٢] .

إن حاجة الإنسان إلى البيان من ضرورات حياته كما قال مسكويه :" إن السبب الذي احتيج من أجله إلى الكلام هو : أن الإنسان الواحد لما كان غيرَ مكتفٍ بنفسه في حياته ، ولا بالغ حاجاته في تتمة بقائه مدتَه المعلومة وزمانه المقدر المقسوم احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادة بقائه من غيره ووجب بشريطة العدل أن يعطيَ غيره عوضَ ما استدعاه منه بالمعاونة التي من أجلها قالت الحكماء : إن الإنسان مدني بالطبع " [٣] .

هذا الاستدعاء للضرورات من الآخرين وسيلته الأولى اللغة التي ميز الله بها البشر ، إن تعليم الإنسان البيان ميزه عن غيره من المخلوقات التي يتعامل معها في هذه الحياة ، لذا كان " الجزء اللغوي " أساساً في تعريف ماهية الإنسان في الحضارة الإسلامية كما يقول الدكتور عبد السلام المسدي: " إن الناظر في تراث التفكير العربي يدرك بيسر أن رواده قد كانوا يُنزلون التقاء الإنسان باللغة في لحظة التحديد ذاتها ؛ إذ إن الحد المميز للإنسان لا يتخصص إلا بدخول عنصر اللغة فيه .. ولا يكاد يخلو تعريف للإنسان سواء على نهج الفلاسفة والمتكلمين أو على طريقة الأدباء واللغويين من قصر سمة التمييز الإنساني على ظاهرة الكلام ، فهو" الحيوان الناطق " [٤] .

---

[٢] – ديريك بيكرتون : اللغة وسلوك الإنسان : ٢٩ ، ترجمة : د/ إياد محمد زياد كبة ، نشر : جامعة الملك سعود – الرياض – السعودية ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

[٣] – مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي الأصبهاني): الهوامل والشوامل:١/٣٣،ط١ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

[٤] – د/ عبد السلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٤٦ ، ط٢ الدار العربية للكتاب – تونس ١٩٨٦م .

إن هذه المعرفة البيانية مع ما يلزمها من القواعد الفطرية لا تحتاج في حالة العامية إلى تعليم منهجي كما هو الحال مع الفصحى ، بل تكون بالاكتساب من البيئة المحيطة ، وهذا الاكتساب يشبه ما كان يحدث مع العربية الفصحى قبل أن توضع لها القواعد ، لقد كان اكتسابها لعدة قرون يتم بهذه الطريقة ، أي بالسليقة والسماع دون الحاجة إلى دراسة القواعد النحوية التي وضعت لاحقاً لمعالجة الضعف في السليقة والسماع ، فاكتساب العامية اليوم أشبه باكتساب الفصحى قبل عملية التقعيد النحوي .

وثمة اتجاه معاصر ينظر إلى اللغة بوصفها غريزة لا شيئاً مكتسباً ، حيث:" تقلب النظرة إلى اللغة بوصفها غريزة الحكمة الشائعة رأساً على عقب ، خصوصاً على الوجه الذي تشيع به في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية ، فليست اللغة اختراعاً ثقافياً إلا إذا كان الوقوف على رجلين اختراعاً ثقافياً ، كما أنها ليست تعبيراً عن قدرة عامة لاستعمال الرموز ، وذلك أن الطفل ذا الثلاث سنوات عبقرية نحوية وإن كان لا يجيد الفنون البصرية .. " [٥] .

المعرفة النحوية الفطرية إذن كامنة في العقل البشري منذ البداية ، وهو ما تؤكده كثير من الدراسات اللغوية الحديثة كما يقول بيكرتون :" يمكننا أن نستنتج مما سبق أن النحو – وهو لبُّ اللغة الإنسانية وأكثر ما يميزها عن المحاولات اللغوية عند الحيوان – لا يمكن أن يكون مجرد اختراع أنتجه عباقرة أذكياء ؛ لأن لهم أدمغة ضخمة .. وإذا لم يكن النحو من المخترعات فهو إذن نشاط يقوم به الدماغ آلياً ، فلا بد له من أن يكون قد تطور بطرق محددة جعلت من الممكن إنتاج اللغة بشكل آلي .." [٦].

---

[٥] – ستيفن بنكر : الغريزة اللغوية : ٢٥ .

[٦] – ديريك بيكرتون : اللغة وسلوك الإنسان : ٣٥ .

والمعرفة النحوية المكتسبة معرفة بطبيعة اللغة وتراكيبها ودقائقها وأسرارها ، إنها معرفة تُكتسب بالسؤال والتعلم والبحث .. كان سيبويه – على سبيل المثال – دائم السؤال والبحث عن تلك المعرفة التي حُرم منها في صغره، لهذا لزم الخليل يسأله ويناقشه ويسجل تلك المعرفة على مهل حتى استوى له الكتاب الفذّ في تاريخ النحو العربي .

هذا النوع من النحو الاكتسابي قائم على الدرس والتحصيل والمعاناة ، وهو لا يتعامل مع العامية ، بل مع الفصحى الخاضعة لقواعد الإعراب ، قال ابن جني عن علم العربية :" وإنما هو عِلْم منتَزع من استقراء هذه اللغة فكلّ من فُرق له عن علّةٍ صحيحة وطريقٍ نَهْجٍة كان خَلِيل نفِسه وأبا عَمْرو فكرِهِ " [٧] وفي هذا إشارة ضمنية إلى ضرورة استخلاص القواعد العامة للغة من داخل نظامها اللغوي نفسه لا من شيء خارجه .

لقد سبق الخليل النحويين في استنباط العلل والقياس حتى أداه ذلك إلى وضع أسس النحو العربي التي كانت ثمرتها كتاب سيبويه .. قال أبو القاسم الزجاجي: " ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد رحمه الله سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، فقيل له : عن العرب أخذتَها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : إنَّ العربَ نطقت على سجيتها وطباعها وعرَفتْ مواقعَ كلامها ، وقام في عقولِها عِلَلُه ، وإن لم ينقل ذلك عنها ، واعتللتُ أنا بما عندي أنَّهُ عِلةٌ لما عللته منه ، فإن أكن أصبتُ العلةَ فهو الذي التمستُ ، وإن تكن هناك علةٌ غيرُ ما ذكرتُ فالذي ذكرتُه محتمل أن يكون علة .. " [٨] .

---

[٧] – أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص:١/١٩٠-١٩١، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٦هـ-١٩٨٦ م .

[٨] – أبو القاسم الزجاجي : الإيضاح في علل النحو : ٦٦ ، تحقيق : د / مازن المبارك ، ط ٦ دار النفائس – بيروت ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٢ - أسس المعرفة النحوية المكتسبة :

ثمة فرعان أساسيان للمعرفة النحوية المكتسبة ، أي التي نتعلمها :

الأول : النحـو نفسـه ، أي مفـردات المسـائل النحويـة كـأبواب المرفوعـات أو المنصوبات ، أو مسائل المبتدأ والخبر ..

والثـاني : مـا قيل وكتـب حـول النحـو ، وهـذا كثيـر متنـوع ، بـل سيل منهمـر وتدخل فيه كثير من الدراسات النحوية الحديثة التي تتحدث عن النحو، ولكل من الفرعين درجات بعضها فوق بعض .

إن وضع القواعد النحوية أمر قد قُضي منذ زمن طويل ، وما حدث بعد ذلك هو إعادة تشكيل تلك القواعد وقولبتها والتفريع عليها والجدال حولها والتماس الشواهد لها من العربية .

إن الأصل في المعرفة النحوية المكتسبة أن تُكسب المتعلم الخبرة اللازمة لاستعمال الفصحى ؛ لأن النحو كما قال ابن جني :" هو انتحاءُ سَمْت كلامِ العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطقَ بها وإن لم يكن منهم " [٩].

ويجب أن تسهم المعرفة النحوية – في مستوى أرقى للدرس النحوي – في تفسير اللغة والكلام المستعمل فعلاً ، التفسيرُ بمعنى إضاءة النصوص لمزيد من الفهم لآليات الكلام ودلالاته ، ولكن حين يتحول النحو من هذه المهمة إلى محاولة السيطرة على إبداع المتكلم وتوجيهه نحو حدود مسبقة للقول لا ينبغي له تجاوزها

[٩] – أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص : ١/ ٣٥.

.. حين يتجه هذا الاتجاه ينقلب معيارياً جدلياً ، ويواجه بالرفض والنقد كما قال الفرزدق لبعض النحويين :" علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا " .

وقد حدث ذلك للنحو العربي ، لقد نشأ على يد منشئيه الأوائل وصفياً يصف أكثر مما يقعِّد ، كما هو الحال عند سيبويه ، ولكنه بعد سيبويه مال إلى التقعيد والمعيارية الصارمة، وحين أغرق النحو في التفريع والجدل استعجم وصعب على كثير من طالبيه حتى ذمه بعض الأعراب ممن يحسن العربية سليقةً ، قال أبو حيان التوحيدي :" وقف أعرابيٌّ على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه ، فحار وعجب ، وأطرق ووسوس فقال له الأخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا .. وقال أبو سليمان : نحوُ العرب فطرة ، ونحونا فطنة ؛ فلو كان إلى الكمال سبيلٌ لكانت فطرتهم لنا مع فطنتنا أو كانت فطنتنا لهم مع فطرتهم"[١٠] وجاء في معجم الأدباء :" حدّث السلامي قال : حضر مجلسَ الكسائي أعرابيٌّ وهم يتحاورون في النحو فأعجبه ذلك ، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتد إلى ما يقولون ، ففارقهم وأنشأ يقول :

ما زال أخْذُهم في النحو يُعجبني حتى تعاطوا كلامَ الزِّنجِ والرومِ

بمفعلٍ فعلٍ لا طاب من كلمٍ كأنّه زجلُ الغِربانِ والبومِ [١١]

---

[١٠]- أبو حيان التوحيدي :الإمتاع والمؤانسة :١/ ٣٠٥، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان– ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

[١١]- ياقوت الحموي : معجم الأدباء : ٤/١٠٠، دار الكتب العلمية– بيروت ١٤١١هـ–١٩٩١م .

هذه المعرفة النحوية الاكتسابية لم يكن العرب قبل الإسلام وفي صدر الإسلام يعرفونها اصطلاحياً بل باكتساب الأساليب ومحاكاة الفصحى لا بتلقي قواعد النحو التي لم تكن وضعت بعد ، وهذا أشبه بمعرفتنا اليوم بالعاميات العربية التي لا نحتاج إلى دراستها لإتقانها ، بل إلى تلقيها ومحاكاتها ، ولو افتُرض وجود مجتمع لغوي اليوم يتحدث بالفصحى دون تعلم لقواعد النحو بل بالتقليد والمحاكاة لكان حديثه وفق قواعد الفصحى ومنها الإعراب.

إن أصل المعرفة النحوية يقوم على الفرضية الآتية : أن يقول المتكلم كلاماً مفهوماً ويُردّ عليه بكلام مفهوم اجتماعياً وفق قواعد تركيب الكلام الممكنة في اللغة المستعملة ، سواء تحدث المتحدث بالفصحى أم بالعامية ، فالعامية مستوى عام يشمل كل أبناء المجتمع ، ولها مستوياتها كذلك ، لكنها مفهومة للجميع ، والفصحى لها مستوياتها كذلك ، والمستوى الإعلامي منها اليوم هو الأكثر شهرة وانتشاراً ، وهنالك فصحى التراث التي تحتاج إلى دراسة أعمق لفهمها وبخاصة لغة الشعر الجاهلي ، ومستوى القرآن والسنة كذلك مع شيوعهما وانتشارهما يحتاجان إلى التعلم والمدارسة .

ولكل علم مادته ومجالاته ومصطلحاته ، والمعرفة النحوية المكتسبة في العربية محصلة علمٍ نشأ وازدهر في البيئة العربية الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري حتى زعموا أنه نضج واحترق ، لأن القواعد الأساسية له وُضعت وأصبح من العسير الزيادة عليها ، وهو قول بعيد عن الصواب ، وبخاصة في جوانب التفسير والتحليل وإضاءة النصوص .

إننا نتكلم بألفاظ مكونة من أصوات ، ونحن نعرف معاني تلك الألفاظ أو نقترب من ذلك ، هذه الألفاظ في العربية تنقسم إلى ثلاثة أقسام كبرى هي : الأسماء والأفعال وحروف المعاني .

لقد لاحظ النحويون بدقة فائقة هذه الأقسام الثلاثة للكلم العربي وسجلوا كل ما استطاعوا معرفته وملاحظته واستنباطه حتى استوت المعرفة النحوية على درجة كبيرة من الدقة ، ثم تجاوزتها بعد مبدئها النشط إلى التعقيد والجدال .

مكونات أية لغة إذن تتبني على أسس خمسة : الأصوات والصرف والنحو والمعجم والدلالة ، وقد قام الاستقراء اللغوي بعمليات كبرى لضبط هذه المراحل عبر تاريخ الدرس اللغوي العربي .

والمعرفة الصرفية تعدّ بمثابة المقدمة للمعرفة النحوية ، وهي قائمة على معرفة نوع اللفظ ضمن الفصائل الثلاث الكبرى التي ذكرناها ، والمعرفة الصرفية تختصّ بالأسماء والأفعال المتصرفة ، ففي حالة الاسم يُبحث : هل هو جامد أم مشتق ، وإن كان جامداً فهل هو مصدر أم اسم غير مصدر ، وإذا كان مشتقاً فمن أي أنواع المشتقات كاسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة .. وإن كان فعلاً فيبحث : هل هو مجرد أم مزيد ، وما نوع الزيادة ومعناها ، وهل هو لازم أم متعد ، جامد أم منصرف مبني للمعلوم أم للمجهول، تام أم ناقص ... ويبحث زمنه من حيث الماضي والمضارع والأمر ، وعلامات كل منها ..

أما حروف المعاني فهي الحروف التي يؤدي كل منها معنى في الجملة ، وهي كثيرة متنوعة كحروف الجر والعطف والشرط والاستفهام والنصب .. وهذه تدخل في مجال علم النحو .

والبنية النحوية في أبسط صورها هي تركيب الكلام على نحو مفهوم دالّ على قصد المتكلم وحاجته ، فحين ندرس كل وحدة من وحدات الجملة على حدة فهي دراسة صرفية أو معجمية ، وحين ندرسها بعد تركيبها ننتقل إلى مجال التركيب وهو النحو ثم الدلالة .

لقد نظر النحويون الأوَلُ بتأنٍّ إلى كلام العرب فوجدوهم يرفعون بعض الأسماء في مواضع وينصبونها في مواضع ويجرّونها في أخرى .. وقادهم ذلك إلى البحث عن مواضع الرفع والنصب والجر ، فوجدوا الاطراد في ذلك في مواضع محددة لا تختلف عليها العرب كرفع المبتدأ وخبره والفاعل ونائب الفاعل واسم كان الذي هو في الأصل مبتدأ وخبر إن الذي هو في الأصل خبر لمبتدأ .. وهكذا جمعت مواضع الرفع ، ونظروا في المواضع التي تنصب فيها الأسماء كذلك فوجدوها متعددة منها مجموعة المفاعيل الخمسة : المفعول به والمفعول المطلق والمفعول فيه (الظرف بنوعيه : المكان والزمان) والمفعول معه والمفعول لأجله ، ثم الحال والتمييز وبعض أحوال الاستثناء وخبر كان واسم إن ...

أما الأسماء المجرورة فهي تجر بثلاثة طرق : بحرف الجر وبالإضافة وبالتبعية لاسم مجرور ، وهذه التبعية تكون في العطف والبدل والتوكيد والنعت، يستوي في ذلك المرفوعات والمنصوبات والمجرورات ، فنعت الاسم المرفوع مرفوع والمنصوب منصوب وهكذا .

إن علماء العربية حين وضعوا النحو أرادوا به أن ينحوَ المتكلم نحوَ العرب في كلامهم الذي به نزل القرآن الكريم ، وهذه مسألة تساير طبائع الأشياء ، فما دمت تتكلم بلسان ما فعليك أن تلتزم بأصول الحديث بذلك اللسان تركيباً ودلالة ، لكي تتمكن من البيان الذي هو السمة الأولى من سمات خلق الإنسان.

وقد ساعد على الثبات النسبي للعربية ثبات نصوصها المرجعية وديمومتها وسيرورتها التي لا تدانيها فيها نصوص أخرى بالعربية ولا بغيرها ، ونعني بذلك نصيها المركزيين : القرآن والسنة .

٣ - المعرفة الإعرابية :

المعرفة الإعرابية فرع من فروع المعرفة النحوية المكتسبة ، حيث يتعرف الدارس على أنواع الكلم وتراكيب الجمل وأنواعها وعوامل الإعراب من رفع ونصب وجر .. ومواضع التقديم والتأخير والتعريف والتنكير .. والعربية تعرف للإعراب آثاراً تظهر على أواخر الكلمات نطقاً وكتابة (في حالة الضبط بالشكل) وهي علامات الإعراب الأصلية ، أما العلامات الفرعية فيظهر بعضها حروفاً في بنية الكلمة كالواو والياء والألف .. ولهذا قال ابن جني عن الإعراب: " هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ " [١٢].

ويشمل مفهوم الإعراب أساسين يقوم عليهما ، الأول : بحث الأثر الإعرابي الذي يحدثه العامل ويجتلبه على آخر اللفظ ، وفيه يقول سيبويه في باب مجاري أواخر الكلم من العربية :" وهي تجري على ثمانية مجار: النصب والجر والرفع والجزم والفتح والضم والكسر والوقف ، وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب : فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد ، والجر والكسر فيه ضرب واحد ، وكذلك الرفع والضم ، والجزم والوقف" [١٣] .

وقد وضع النحويون لهذه المصطلحات رموزاً تدل عليها هي الفتحة والضمة والكسرة ، وحقيقة الأمر أن النحويين لم يضعوا هذه المجاري من عند أنفسهم، وإنما سمعوها من العرب ، فرمزوا لها بهذه الرموز المصغرة من الحروف المشابهة لها كما قال ابن جني :" اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ،

---

[١٢] – ابن جني : الخصائص : ١/ ٣٦.

[١٣] – سيبويه: الكتاب : ١٣/١ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٣ الخانجي ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

وهي الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاثة ، وهي الفتحة والكسرة والضمة " [١٤] .

أما الأساس الثاني للإعراب فهو ينبني على تحليل تركيب الجملة العربية إلى عناصرها وبيان موضع كل لفظ فيها ، وبيان التفاوت بين تركيب وآخر أو اختلاف التراكيب في التعبير عن المعنى ، ويمكن أن يضاف إلى ذلك بحث احتمالات التعدد الإعرابي ، وبيان أقربها إلى السياق والمعنى العام ... ومن ثم يسهم النحو في فهم الأساليب وتحليلها .. حيث إن " النحو جزء أساس من فكرة الأسلوب ، وليس مجموعة من الأنظمة الخارجية التي تشبه اللباس تُخلع وتُرتدى ، إنه عميق متمكن في النفس العربية ، لا ينفصل في الإحساس العام عن المتوارث عن إدراكنا وانفعالنا " [١٥] .

ويعدّ الإعراب أساس تركيب الجملة العربية ، فالكلمة المفردة قبل دخولها في التركيب لا يمكن إعرابها ، أما حين تتركب المفردات في تركيب دال ، فإنها تكوّن حينئذٍ وحدات نحوية تسمى الجمل ، وتصبح بذلك قابلة للتحليل النحوي ، أما في حالتها المفردة ، فإنها تحلل على المستوى الصرفي الذي يختص ببنية الكلمة المفردة .

والإعراب يتيح للمتحدث العربي أو الكاتب ذي الملكة اللغوية أن يتصرف في تركيب جملته وفق حالته النفسية والفكرية وإمكاناته ... وذلك في إطار ضوابط نحوية معلومة ، يكون بها الكلام دالاً ، فالمتكلم يستطيع أن يقدم أو يؤخر ، أو

---

[١٤] – ابن جني : سر صناعة الإعراب : ١٩/١ ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ١٩٥٤م.

[١٥] – د/ عبد الرحمن الخالدي : النحو عند ضياء الدين بن الأثير: ١٩٥، مجلة عالم الفكر ، مج : ٣٧ ، ع : ١(يوليو – سبتمبر) الكويت ٢٠٠٨ م .

يحذف من جملته بعض أركانها ، والإعراب هو الذي يحفظ لكل لفظ مقامه في تركيب الجملة ، حتى مع تغير موقعه فيها ، ما بين تقديم أو تأخير قال سيبويه في قولهم :" ضرب عبدُ الله زيداً " فإن قدمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأوّل وذلك قولك : ضَرَبَ زيداً عبدُ الله ؛ لأنّك إنَّما أردت به مُؤخراً ما أردت به مقدَّماً ولم تُرِدْ أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه وإنْ كان مؤخراً في اللفظ ، فَمن ثمَّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّماً وهو عربيٌّ جيِّد كثير ، كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانُه أهمُّ لهم وهُمْ ببيانه أَعْنَى وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم " [١٦] .

والإعراب يقوم بهذه المهمة الضابطة عن طريق العلامات الإعرابية ، وهي رموز مختصرة للدلالة على معان " فالمميز النحوي – أي العلامة الإعرابية – رمز في غاية الإيجاز يحول دون اختلاط المعاني ويمنع الالتباس، ويصنف المفردة المضبوطة بالحركة في باب من أبواب النحو" [١٧] .

٤ – طبقات المعرفة النحوية :

إن علينا أن نعترف كذلك بأن المعرفة النحوية نفسها درجات بعضها فوق بعض ، إذ تبدأ بالقدرة على تركيب الألفاظ في جمل مفهومة ، ثم في الفصحى نحتاج إلى القدرة على ضبط الكلام وفق القواعد المعروفة .. مروراً بالعمليات اللغوية المختلفة التي تحتاج إلى قدر أرقى من المعرفة النحوية والخبرات الأسلوبية كالحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير .. لننتقل بعد ذلك إلى مناطق أكثر رحابة وخبرة كتفسير النصوص في ضوء معطيات النحو كما هو الحال في

[١٦] – سيبويه : الكتاب :١/٣٤ .

[١٧] – ريمون طحان : الألسنية – القسم الثاني :١٣، ط١٢ دار الكتاب اللبناني ١٩٨١م.

المباحث والنكات النحوية التي أسهمت في تفسير النص القرآني وغيره من نصوص العربية انتهاء إلى مناطق الإبداع اللغوي والأدبي حين يستغل المبدع الإمكانات الكبيرة المتنوعة للّغة والمعرفة الأسلوبية والجمالية في الصياغة الأدبية الراقية ، إن " البحث اللغوي بمفهومه الواسع ليس له حدّ يقف عنده وينتهي إليه واللغة بجوانبها المتعددة أشبه بطبقات الأرض ، كلما كشفت عن طبقة وحلّلت عناصرها المختلفة ظهرت طبقة أخرى تليها مكونة من عناصر تحتاج إلى البحث والتحليل"[١٨].

لقد حاول النحويون الأُوَل جمع الأسس العامة للصور المنطقية العقلية لفن القول ، فالصورة المنطقية هي فن التنظيم والتقعيد للغة ، وعليه فإن محاولات النحويين لتقعيد القواعد إنما كانت لتجريد الأصول العامة والضوابط الكلية ، لا لحصر الممكن أو الموجود فعلاً من صور القول التي لا تحصى كثرة وتنوعاً ، لقد كانت محاولات جادة لوضع غير المحدود وغير النهائي في صورة المحدود والنهائي بهدف تيسير اللغة .

والبحث النحوي الجمالي هو قمة البحث النحوي العربي ، وقد بدأه بصورة منتظمة عبد القاهر الجرجاني في كتابه القيم " دلائل الإعجاز " الذي لم يقصد به قط أن يكون كتاباً تعليمياً في النحو يناقش مسائله ويشارك في جدالاته الدائرة ، بل قصد – فيما أحسب – بكتابه أولئك الذين تلقوا هذه المعارف الأولية عن النحو ودرسوه .. ثم أراد هو أن ينتقل بهم إلى مرحلة أعلى من الدرس النحوي الدلالي لا تقدمها كتب النحو التعليمي المعتادة .

---

[١٨] – د/ محمد حماسة عبد اللطيف : بناء الجملة العربية : ٨ ، ط١ دار الشروق ، القاهرة ١٤١٦هـ – ١٩٦٦م .

ومرحلة التذوق الفني لجماليات النص تنطلق أساساً من تركيبه اللغوي ، فالنظر في وجوه الكلام وتغير الدلالة لتغير التركيب ولو كان تغيراً يسيراً هو مناط البحث اللغوي الجمالي عند عبد القاهر ، لقد أشار إلى الفروق الدقيقة بين المعاني لجملة واحدة لها معنى عام ، ولكن يتقوّى المعنى ببعض إضافات لا تغير المعنى العام للجملة ، ولكن تقوّيه أو تؤكده ، لقد كان عبد القاهر ومن تبعه من البيانيين أكثر اهتماماً ببيان كيفية أداء التركيب اللغوي للمعنى المراد ، ويمكن القول بأن النحويين قد تركوا للبلاغيين مجالاً خصباً كانوا هم أهله وأجدر به ، وذلكم هو مجال علم المعاني ، وهو مؤسس على علم النحو ، إلا أنه خطا الخطوة التي أهملها النحاة للوصول إلى دراسة شاملة لجوانب العملية الكلامية وهي خطوة دراسة المعنى على مستوى التركيب ، قال الدكتور تمام حسان :"إن النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدّعيَ لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم العاني ، حتى إنه ليحسن أن يكون علم المعاني قمة الدراسة النحوية ، أو فلسفتها إن صح التعبير " [١٩] .

المصطلح الثاني : الإيقاع :

الإيقاع الصوتيّ ينشأ من تناسق الأصوات والحروف والحركات فى الكلمة ، ومن اختيار الكلمات ومن بناء الجملة من كلماتٍ على نسق معين ومن طول الجمل وقصرها ، ومن مقاطع الجمل وفواصلها .. كل ذلك مجال الإيقاع الصوتيّ ، ولكن الإيقاع أعمُّ من ذلك وأكثر تنوعاً وتعقيداً ، إذْ " ليست مشكلة الإيقاع مقصورة على الأدب بشكل نوعيّ أو حتى على اللغة ، فهناك إيقاع للطبيعة وآخر

[١٩] – د/ تمام حسان : اللغة العربية معناها مبناها : ١٨، ط٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م.

للعمل وإيقاع للإشارات الضوئية وإيقاعات للموسيقى ، وهناك بالمعنى المجازي إيقاعـــات للفنـــون التشـــكيلية ، كمـــا أن الإيقـــاع ظـــاهرة لغويـــة عامة " [٢٠].

ورغم أهمية الإيقاع وعلاقته بالدرس النحوي والدلالي فإن عبد القاهر الجرجاني – رغم مكانته الكبيرة – قد أفرط وهو بصدد تأسيس نظرية النظم في إنكار دور المؤثرات الإيقاعية في تركيب الجملة ومن ثم توصيل الدلالة ، لقد :" أغفل دور الوزن والقافية إغفالاً متعمداً في صدد حديثه عن النظم ، وهو جانب من جوانب التفاعل الضرورية في اختيار وجه من وجوه النظم ، فالصورة الصوتية المنطوقة تحكمها في العمق أبنية أخرى صرفية ونحوية ووزنية معينة في الشعر " [٢١].

وقد أشار سيبويه منذ القدم إلى أن فواصل الكلام وقوافيه – على سبيل المثال – لها خصوصية ليست لغيرها .. قال :" وجميع ما لا يُحذف في الكلام ، وما يختار فيه أن لا يحذف ، يحذف في الفواصل والقوافي " [٢٢].

إن الإيقاع المنظم المبنيّ على روية وخبرة حقيقية باللغة وإمكاناتها يرتبط بمستوى خاص من الكلام كالشعر أو النثر الفني ، وليست " الموسيقى مجرد إيقاع ينظّم طريقة القراءة للشعر ، ولكنها بالإضافة إلى ذلك – سواء كانت فيما اصطلحنا على اعتباره من الشعر أو النثر – سياج نفسي شفاف يرتفع بين القارئ أو السامع وبين الواقع المباشر القريب ليعيش بكل طاقاته المدركة في إطار الواقع

---

[٢٠] – رينيه ويليك وأوستن وارين : نظرية الأدب : ٢١٢ ، ترجمة : محيي الدين صبحي – بيروت د.ت .

[٢١] – د/محمد حماسة عبد اللطيف : الجملة في الشعر العربي : ١٢١ ، ط١ مكتبة الخانجي ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

[٢٢] – سيبويه : الكتاب : ٤/١٨٤–١٨٥ .

البديل الذي يصنعه الأثر الأدبي ، هذا فضلاً عن أن الموسيقى تستطيع أن تصل بفضل هذا الصنيع إلى غايات ومعان وإيحاءات ما كانت اللغة لتستطيع أن تبلغها بغير الموسيقى " [٢٣].

والوصول إلى العنصر الإيقاعي في نهاية الجملة سواء كان قافية أم سجعاً أم فاصلة هو نتاج عمليات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، بمعنى أنه لا بد من أن تتشابك وتتساند هذه المستويات جميعاً لتكوين ذلك الإيقاع ، فالصوت المختار في القافية لا بد أن يكون كالصوت السابق له تماماً كالهمزة أو الياء .. إلخ ، إضافة إلى حركة ذلك الصوت التي لا بد أن تتكرر كذلك ، أما في السجع والفواصل فثمة حرية أكثر للتنويع بعد مجموعة من الجمل المسجوعة أو الآيات ذات الفواصل المتشابهة المكررة .

إن علاقة النحو ببناء الفاصلة تظهر في التراكيب اللغوية ، ولكنها مع ذلك تبدأ من اختيار الصوت ، واختيار الصوت يعني اختيار الكلمة الملائمة التي تحمل ذلك الصوت ، ولابد لها أن تكون مقبولة وزناً وإيقاعاً، وتحديد الحركة الإعرابية لنهاية الكلمة يحتاج إلى النحو الذي يقوم بتحديد موقع الكلمة من الإعراب وحركتها ، وإن كان السياق يحتاج إلى تقديم وتأخير للوصول إلى ذلك ، أما في السجع والفواصل فكثيراً ما تكون أواخر الجمل ساكنة مما يسوّغ التسجيع أو الفصل بالمنصوب غير المنون مع المرفوع والمجرور [٢٤].

والعنصر الإيقاعي في القرآن الكريم لا يقتصر على الفاصلة ، بل هي إحدى صوره العديدة ، وهناك كذلك تكرار النمط النحوي أو الجمل المتوازنة وإطلاق لفظ الإيقاع أو الموسيقى اللفظية على هذه الصور الموسيقية في القرآن الكريم أمر مقبول عموماً لدى الدارسين ، وقد جاء العنصر الإيقاعي في الفواصل

---

[٢٣] – د/محمد حسن عبد الله : اللغة الفنية : ١٢ ، ط دار المعارف ، القاهرة د.ت.

[٢٤] - انظر : د/السيد خضر: فواصل الآيات القرآنية- دراسة بلاغية دلالية : ٢٧، ط ٢ مكتبة الآداب - القاهرة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م .

القرآنية إغناءً للعرب المجبولين على حب القوافي والأسجاع لما فيهما من إيقاع جميل مؤثر .. جاء إغناء للعرب بما هو أطيب وألذُّ للأسماع والعقول، وأكثر بركةً وثواباً .

لقد استثمر القرآن الإمكانات المتنوعة للعربية وسعتها اللفظية في اختيار المفردات والصيغ المناسبة لتحقيق الإيقاع الذي لا ينفصل عن الدلالة ، ويتجلى ذلك على سبيل المثال في الكلمات المختارة للفاصلة في سورة الرحمن ، حيث اختيرت كلماتها بحيث لا يمكن أن تحل كلمة أخرى محل كلمة الفاصلة ، مع الاتكاء على المستوى الإعرابي لوضع كلمة الفاصلة الموضع الذي يتحقق معه الإيقاع الصوتي المؤثر .

لقد خاطب القرآن أول مرة قوماً مجبولين على حب البيان والفصاحة والإيقاع اللغوي المؤثر فأعطاهم من ذلك – والبشريةَ من بعدهم– أجمل ما يمكن أن تتحمل لغة ما من لغات البشر من البيان الجميل القوي المؤثر.

المصطلح الثالث : الدلالة :

علم الدلالة واسع الأرجاء متعدد النظريات ، وهو أحد فروع علم اللغة ومن أحدثها ظهوراً ، وموضوعه دراسة المعنى من جوانبه المتعددة ، لكنا نتحدث هنا عن الدلالة الناشئة عن تركيب الجملة على نحو ما ، من حيث التقديم والتأخير أو الحذف أو التعريف والتنكير أو التكرار أو دلالة العطف على نحو ما ..

إن النحوي حين يعمل صنعته في نصّ لغويّ فيعربه الإعراب الظاهر يكون قد بدأ عمله الأوّلي في التحليل، ولكنه يحتاج بعد ذلك إلى التدبر في تركيب الجملة وبحث مكوناتها من تقديم وتأخير أو تعريف وتنكير أو حذف .. أو استعمال لأدوات الربط في العربية كحروف الجر والعطف وسياق استعمال كل منها ودلالاته .. إلخ ، وهو بذلك يخطو خطوة أخرى وراء الإعراب الظاهر ليصل إلى مواطن الجمال في النص من خلال التحليل النحوي ، وقد يترك النحوي هذه

المهمة ليقوم بها البلاغي الباحث عن مناسبة المقال للمقام بأدوات نبتت من قبل في رحم النحو ثم انفصلت عنه لتشكل علوم البلاغة العربية .

وقد لاحظ عبد القاهر بحق أن الحالة النفسية والعقلية لهما أثر بالغ في اختيار الكلمات وبناء التراكيب اللغوية ، قال :" إنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها ، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق " [٢٥].

ومباحث علم المعاني بخاصة هي في الأصل مباحث نحوية من زاوية خاصة، ولهذا سُمي علم المعاني بالنحو العالي ، أي الذي لا يقف عند الإعراب الظاهر ، بل يتعدى ذلك إلى بحث الدلالة والسياق ، فيبحث في الفصل والوصل والمسند والمسند إليه وأغراض الاستفهام والإنشاء والخبر ... إلخ ، فعلم المعاني إذن يتقدم خطوات وراء الإعراب الظاهر أو التركيب الظاهر للجملة لبحث ما وراء ذلك من معان ودلالات سياقية إضافية لا يتيحها النظر السريع في التركيب ، لهذا يعد علم المعاني بحق قمة الدراسة النحوية إن صح التعبير .

أما علم البديع فله صلة بالتراكيب الإيقاعية في العربية ، كالسجع والقوافي والجناس ، ومعلوم أن التوصل إلي بناء جملة ذات إيقاع يعتمد كذلك علي الخبرة النحوية بالتركيب والإعراب .

دلالة التركيب إذن ناشئة من مكوناته اللفظية ومقام كل لفظ فيه وعلاقته بغيره في التركيب ومكان التركيب من السياق العام للكلام ، ومراعاةُ المقام والحال من محاور علم الدلالة .

---

[٢٥] – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز: ٤٤ ، ط دار المعرفة – لبنان ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

المبحث الثاني

سورة الرحمن

دراسة في ضوء معطيات النحو والإيقـاع والدلالة

ليست هذه دراسة تفسيرية لسورة الرحمن كالتي نعهدها في كتب التفسير أو إعراب القرآن ، بل هي دراسة لغوية من منظور خاص يشمل الجوانب التركيبية والإيقاعية في السورة وكيف تنسجم وتتوافق وتتداخل معطيات النحو والإيقاع ودلالة التركيب في تجلية النص وإظهار بعض جوانبه الجمالية [٢٦].

وسورة الرحمن تشتمل على ثلاثة محاور أساسية مترابطة يفضي بعضها إلى بعض لتكوّن الوحدة الموضوعية للسورة ، وهي :

١- بيان بعض النعم التي أنعم الله بها على عباده مثل تعليم القرآن وخلق الإنسان وتعليمه البيان ...

٢- التحذير من التكذيب بتلك النعم أو بشيء منها في الحياة الدنيا .. في هذا السياق يأتي التكرار المتفرد في السورة لقوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٣- بيان جزاء المؤمنين الشاكرين لتلك النعم وجزاء الجاحدين المكذبين في الآخرة ، مع وصف تفصيلي لبعض ألوان ذلك النعيم أو العذاب ..

ويشتمل هذا المبحث على المسائل الآتية :

أولاً : الدراسة النحوية .

ثانياً : النحو وإيقاع الفاصلة .

---

[٢٦] – تناول الدكتور شوقي ضيف سورة الرحمن بالدراسة التفسيرية في كتابه : سورة الرحمن وسور قصار ، الصادر عن دار المعارف بالقاهرة .

ثالثاً : النحو والتكرار في سورة الرحمن .

أولاً : الدراسة النحوية :

تشمل الدراسة النحوية للسورة معالجة المسائل الآتية :

١- أنماط الجملة في سورة الرحمن .

٢- من مسائل العطف .

٣- التقديم والتأخير .

٤- من مسائل الحذف .

٥ - المبني لما لم يسمَّ فاعله .

٦- من وجوه الإعراب في سورة الرحمن .

١ - أنماط الجملة في سورة الرحمن :

الجملة العربية بنوعيها الاسمية والفعلية ذات تنوع كبير ، فمع وجود الركنين الأساسيين للاسمية والفعلية توجد توابع وفضلات نحوية تتخلل بناء الجملة سابقة أو لاحقة على ركنيها أو أحدهما ، والجملة قابلة للتوسع لفظياً ودلالياً حسب السياق وحاجة الكلام .

والجملة العربية من حيث البساطة والتركيب تنقسم إلى قسمين هما : الجملة البسيطة والجملة المركبة ، والبسيطة هي التي تكتفي بركني الإسناد فيها دون الحاجة إلى عنصر لغوي آخر ، أما المركبة فهي التي يُزاد على ركنيها الأساسيين عنصر أو أكثر يؤثر في مضمونها ، فهي جملة قابلة للتوسع ، ونعني بتوسع الجملة هنا زيادة بعض العناصر الدلالية على بنائها الأصلي المكون من المسند

والمسند إليه ، بمعنى أنها قد تستوعب بعض اللواحق أو الفضلات الموضحة أو المقيدة للمعنى العام للجملة ، وصور توسع الجملة في العربية غير منحصرة ، فقد يدخل على ركنيها الحال والنعت والعطف والتمييز .. إلخ ، وكلها طرائق تنمو بها الجملة وتتسع ، ولعل الصورة البسيطة للجملة تتمثل في ركنيها أعني المسند والمسند إليه ، ولكن مع تطور نظم الفكر والحضارة والعلم .. كان لابد للجملة أن تواكب هذا التطور ، وهذا ما حدث فعلاً ، حيث إن الجملة العربية " تعقدت مع تطور الفكر ورقيه تعقيداً كبيراً حتى أننا نجد صيغ الاستثناء والقصر في العربية على نحو لا نجده في اللغات السامية التي دونت قبل العربية ، فكلما تقدم الزمن تعقدت الجملة ولم تعد على بساطتها الأولى " [٢٧].

وسورة الرحمن تحمل السمات العامة للسور متوسطة الطول من القرآن المكيّ كالقمر والطور والرحمن والنجم .. ومن هذه السمات قصرُ الآيات وسرعة الإيقاع وانتظام إيقاع الفواصل في سور كاملة منها كالقمر التي جاءت فواصلها جميعاً على حرف واحد هو الراء ، وانتظام الفواصل كذلك في مقاطع كثيرة من السور الأخرى .

والجمل في سورة الرحمن أكثرها من النوع الثاني (المتسع) ولكنها تتميز بالقصر أي قلة الإضافات (الفضلات بمصطلح النحويين) وبناء إيقاع الفاصلة بكلمة تناسب السياق دلالياً و تناسب الإيقاعَ المطردَ في الفواصل صوتياً، مما يعطي السورة جمالاً وتأثيراً قوياً في المتلقي .

[٢٧] – د/ محمود فهمي حجازي : علم اللغة العربية :١٤٧، ط دار الثقافة ، القاهرة د.ت.

والجملة الأولى من السورة ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾(١-٢) من النوع الأول (الجملة البسيطة) وذلك بحسبان جملة الخبر الفعلية كلها مكوناً واحداً من مكوني الإسناد .

وربما تتكون الجملة البسيطة من الركنين الأساسيين مع ما لا يمكن فصله عن الركنين أو أحدهما كالمضاف إليه الذي يعده النحاة مع المضاف – من جهة اللفظ – كالشيء الواحد ، أو حروف المعاني التي لا تستقيم الجملة بدونها في المعنى المراد أداؤه كالاستفهام أو النفي أو الاستثناء .. ومثال ذلك في السورة ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ ﴾(٦٠) .

أما أكثر الجمل فتتسع بطرق عديدة منها العطف على المبتدأ كما في ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾(٥) أو بمتعلقات الأفعال مثل ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ حيث يمثل الفعل " تكذبان " الإسناد الأساسي للجملة ويتقدم عليه الجار والمجرور وثلاث إضافات (آلاء وربّ والضمير) ويقع الفعل مرفوعاً بثبوت النون التي تحقق مع ألف الاثنين الفاصلة الموقّعة في السورة.

ومن طرق توسع الجملة كذلك النعوت ، وهي تأتي في صلب الآية أو في الفاصلة ، والتركيب النعتي شائع في الفواصل القرآنية بعامة ، ومجموع آيات القرآن الكريم (٦٢٣٦) آية ، وجاء التركيب النعتي فاصلة فيما يقرب من (١٢٠٠) فاصلة بنسبة ١٩,٢٠% من مجموع الفواصل ، أي ما يقارب خمس آيات القرآن جاءت فواصلها تركيباً نعتياً ، أما في سورة الرحمن فقد جاء النعت في ثلاث عشرة فاصلة ، بل كانت بعض الآيات عبارة عن كلمة واحدة هي نعت لكلمة في آية سابقة كما في ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُدْهَامَّتَانِ ﴾(٦٢-٦٤) فمدهامتان آية وهي نعت لـ " جنتان " .

٢ - من مسائل العطف :

أ - بين العطف وترك العطف :

للعطف مواضعه التي يحتاجها السياق ، ولترك العطف كذلك مواضعه التي يتجلى فيها جمال النص ، وفي قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ . وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾(١-٧) قال الزمخشري : " وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد ، كما تقول : زيدٌ أغناك بعد فقر ، أعزّك بعد ذل ، كثّرك بعد قلة ، فعل بك ما لم يفعل أحدٌ بأحد ، فما تنكر من إحسانه ..؟ فإن قلت : كيف أخلّ بالعاطف في الجمل الأُوَل ثم جيء به بعد ؟ قلت : بكّت بتلك الجمل الأول الواردة على سنن التهديد ، ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه ... ثم رد الكلام إلى مناهجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف" [٢٨].

قلت : في هذه الجمل القرآنية المتتابعة ورد القسْم الأول بدون الواو ، ثم ورد بعضها بالعطف ، وقد لاحظ الزمخشري هنا بعض وظائف الواو ، بل استعمل بعض تسميات المحدثين لها بوصفها من أدوات الربط في العربية في قوله :" في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف ".

ومن هذا اللون ما ذكره الزركشي ، قال :" ولحذف الواو فى قوله تعالى﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ نكتة علمية فإنه جعل تعليم البيان فى وزان خلقه وكالبدل من قوله "خلق الإنسان " لأنه حيّ ناطق ، وكأنه إلى نحوه أشار أهل المنطق بقولهم فى حد الإنسان : حيوان ناطق " [٢٩].

---

[٢٨] – الزمخشري : الكشاف : ٤/ ٤٤٣، ط٣ دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

[٢٩] – الرزركشي : البرهان في علوم القرآن : ٣٨٩/١ ، ط دار الفكر – بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

ب - عطف الخاص على العام :

في قوله تعالى ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (٦٨) قال الفراء :" فإن قلت: فكيف أعيد النخل والرمان إن كانا من الفاكهة ؟ قلت : ذلك كقوله ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى ﴾(البقرة : ٢٣٨) وقد أمرهم بالمحافظة على كل الصلوات ، ثم أعاد العصر تشديداً لها، كذلك أعيد النخل والرمان ترغيباً لأهل الجنة .." [٣٠] وقال الزمخشري :" فإن قلت : لم عُطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها ؟ قلت : اختصاصاً لهما وبياناً لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران " [٣١].

٣ - التقديم والتأخير :

ثمة نوعان من التقديم والتأخير في العربية ، أحدهما يرتبط بتركيب الجملة على نحو خاص وهذا قد يكون ضرورة لسبب نحوي أو في غير الضرورة لسبب بلاغي دلالي ، وهذا النوع مبني على تصور وجود ترتيب مألوف شبه مطرد للوحدات النحوية في الجملة العربية ، كتقدم الفعل ثم الفاعل ثم المفعول ، أو المبتدأ ثم الخبر ، أو صاحب الحال ثم الحال ... ولكن إذا خولف هذا الترتيب في بعض السياقات فإنه يُبحث لبيان الدلالة السياقية أو موطن الجمال فيه ، أما النوع الثاني من التقديم فلا يرتبط بترتيب الوحدات النحوية المعتاد في الجملة العربية ، بل هو تقديم دلالي مرتبط بدلالة الآية كترتيب ورود السماء قبل الأرض أو الليل على النهار على سبيل المثال ، وليس خروجاً على أصل لغوي مقرر أو مطرد

---

[٣٠] – الفراء : معاني القرآن : ٣/ ١١٩ ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار دار الكتب ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

[٣١] – الزمخشري : الكشاف : ٤/٤٥٣ .

كالذي في تقديم المفعول على الفعل والفاعل أو الخبر على المبتدأ إذ ليس هناك من جهة اللغة ما يوجب تقديم شيء من ذلك أو تأخيره ، وإنما هي حاجة السياق إلى تقديم الأرض مرة والسماء أخرى .. وهكذا في كل موضع .

ومن هذا النوع الثاني :

١- ما ذكره الزمخشري من ترتيب ورود النعم في قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الإنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾(١-٤) قال :" عدّد الله عز وعلا آلاءه ، فأراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق قدماً من ضروب آلائه وأصناف نعمائه ، وهي نعمة الدين ، فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه ؛ لأنه أعظم وحي الله رتبة ، وأعلاه منزلة ، وأحسنه في أبواب الدين أثراً ، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها ، وأخّر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ؛ ليعلم أنه إنما خلقه للدين ، وليحيط علماً بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله، وكأن الغرض في إنشائه كان مقدّماً عليه وسابقاً له ، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان ، وهو المنطق الفصيح " [٣٢].

٢- في قوله تعالى ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأكْمَامِ . وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾(١١-١٢) يتدبّر أبو حيان تسلسل ذكر النعم فيقول : "وبدأ بقوله (فَاكِهَةٌ) إذ هو من باب الابتداء بالأدنى والترقي إلى الأعلى ، ونكّر لفظها ؛ لأن الانتفاع بها دون الانتفاع بما يذكر بعدها ، ثم ثنى بالنخل فذكر الأصل ولم يذكر ثمرتها ، وهو الثمر لكثرة الانتفاع بها من ليف وسعف وجريد وجذوع وجمّار وثمر

[٣٢] – الزمخشري : الكشاف :٤/٤٤٣.

، ثم أتى ثالثاً بالحب الذي هو قوام عيش الإنسان في أكثر الأقاليم وهو البُرُّ والشعير وكل ما له سنبل وأوراق متشعبة .." [٣٣].

٣- من المعلوم أن الجن مخلوقون قبل الإنس ، ولهذا يتقدم ذكرهم على الإنس حين يذكران في سياق واحد متعاطفين في أكثر المواضع في القرآن ، في حين يتقدم ذكر الإنس في مواضع أقل ، ولكلّ سياق بلاغته الخاصة التي تظهر بالتدبر لا ريب ، وحين نتدبر موضعين من هذه المواضع سنجد مصداق ذلك ، ففي قوله تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا ﴾(الرحمن : ٣٣) تقدم ذكر الجن ، وفي قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ (الأنعام : ١١٢) تقدم ذكر الإنس ، فهل لذلك دلالة ؟

في الأول كان الحديث عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض وذلك يحتاج إلى حرية الحركة والتشكل وسرعة التنقل .. والجن في هذا أقدر من الإنس كما ذكر القرآن عنهم في مواضع متعددة ، والسياق في آية الأنعام يتحدث عن عداوة الشياطين من الإنس والجن للأنبياء ، ومعلوم أن هذه العداوة كانت من الإنس أولاً على مر التاريخ ، ولم يظهر فيها الجن مباشرة إلا من خلال الوسوسة وإيقاع العداوة .. لكن الإنس كانوا هم العنصر الفاعل في هذه العداوة كما قصّ القرآن في مواضع كثيرة منه ، لهذا تقدم ذكرهم على الجن في هذا الموضع .

وفي سورة كذلك الرحمن اقترن ذكر الإنس والجن منكّرين في قوله تعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ ﴾(٣٩) ولكن تقدم ذكر الإنس يحقق جمال الفاصلة وانسجامها مع بقية فواصل السورة مع تأخير لفظ (جانّ) ليكون

[٣٣] – أبو حيان:البحر المحيط:١٠/٥٧-٥٨ ، ط الفكر ، بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

فاصلة ، وفيه توجيه التحذير الأقوى للإنس بتقديم ذكرهم على أنهم معمّرو هذه الأرض والمسئولون عن حركة الحياة فيها ، وقد تقدم ذكر الإنس على الجن كذلك في قوله تعالى من السورة﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ (٧٤) .

- لون آخر من التقديم والتأخير في سورة الرحمن :

ثمة لونٌ من التقديم والتأخير في السورة جارٍ على قواعد العربية من حيث تقديم الخبر إذا كان شبه جملة والمبتدأ نكرة ، وذلك المبتدأ النكرة المؤخر وفق قواعد العربية هو الذي يحمل القيمة الصوتية المرادة للفاصلة ، وليس معنى ذلك اجتلابه للفاصلة مجرداً عن الدلالة الخاصة للتركيب كما يعتسف ذلك بعض الكتاب المسجّعين ، فالفاصلة القرآنية لفظُها ودلالتُها يناسبان المقام ، ومن هذا اللون :

- ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(٤٦).
- ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾(٥٢).
- ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾(٦٢) .
- ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾(٧٠).

والملاحظ أن المبتدأ النكرة في ثلاث من الآيات مثنى مرفوع بالألف غير مضاف ، وفي الرابع كلمة تحمل القيمة الصوتية نفسها وهي جمع التكسير (حسان) وهكذا تؤدي هذه الألفاظ القيم الصوتية والتعبيرية والدلالية معاً لإكمال جوانب الجمال في الأسلوب القرآني المعجز .

٤ - من مسائل الحذف :

الحذف ظاهرة لغوية شائعة في كل اللغات ومنها العربية ، وله مواضعه وجمالياته حين يستعمله المبدع في فنون القول ، وقد بيّن عبد القاهر بعض جمال الحذف بقوله : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة .." [٣٤] وقد أفاض فيه اللغويون والبلاغيون قديماً وحديثاً.

من مواضع الحذف :

أ - حذف المنعوت وإقامة النعت مقامه :

تتحول نعوت كثيرة بمرور الزمن وكثرة الاستعمال إلى ما يشبه الجوامد وتحل بدورها محل الأسماء وتقوم مقام المنعوت ، وذلك كالأشقر والأدهم للفرس والأجدل للصقر ، وكثير من أسماء الأعلام المشتقة كفاضل وكريم وحسن ومحمد ... كل ذلك كان في الأصل نعوتاً تحولت إلى أسماء تُنعت ، وقد أشار سيبويه إلى شيء من ذلك بقوله :" وربما جرت الصفة في كلامهم مجرى الاسم .. فمن ذاك الأبرق والأبطح وأشباههما " [٣٥] .

ومن شواهده في سورة الرحمن :

١- ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴾ (٢٤) والأصل : السفن الجواري ، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه وذلك لإغناء الصفة عنه وتحملها المعنى الأساسي من وجود السفن وهو جريها في البحر للسفر والنقل ولأنه لا يُفهم من السياق غير ذلك ولا ينصرف الذهن معه إلى غير السفن الجواري ، ومثل ذلك قوله تعالى عن سفينة نوح عليه السلام ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾(القمر:

[٣٤] - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز :١١٢ .

[٣٥] - سيبويه : الكتاب :٢٢٨/١ .

١٣) حيث حُذفت السفينة وقام نعتها مقامها وأدى لفظ " دسر " دوره الإيقاعي في الفاصلة الرائية مع دلالة التركيب التي تبيّن مواد صناعة السفينة من أخشاب جمعتها دسر " مسامير " وهذا يبين ضعف السفينة التي واجهت أمواجاً كالجبال .. وهنا يتجلى فضل الله تعالى الذي حفظ سفينة كهذه من تلك الأهوال .

ومع هذا فحين يحتاج السياق إلى ذكر السفينة صراحة وحذف نعتها سنجد ذلك في ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف : ٧٩) والمعلوم من السياق ضرورة أن الملك يأخذ كل سفينة صالحة ، وحين يحتاج السياق إلى ذكر السفينة متبوعة بنعتها سنجده في ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ (الشعراء : ١١٩) .

٢- ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾(٥٦).

" قاصرات الطرف : صفة لموصوف محذوف تقديره نساء ، وشاع المدح بهذا الوصف في الكلام حتى نُزّل منزلة الاسم " [٣٦].

وقد تكرر حذف المنعوت والاكتفاء بالنعت في صفة نساء الجنة في السورة في مواضع أحرى مثل ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (٧٠) وخيرات "صفة لمحذوف يناسب صيغة الوصف ، أي نساء خَيْرات ، وخيرات مخفف من خيرات بتشديد الياء مؤنث خيّر وهو المختص بأن صفته الخير ضد الشر وخفّف في الآية طلباً لخفة اللفظ مع السلامة من اللبس بما أتبع به من وصف " حسان " الذي هو جمع حسناء " [٣٧].

---

[٣٦] – محمد الطاهر بن عاشور التونسي : تفسير التحرير والتنوير :١٤/ ٣٨٨، نسخة إلكترونية ضمن برنامج المكتبة الشاملة .

[٣٧] – محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير :١٤/ ٣٩٣.

وقد أبدل من خيرات لفظ " حور " في ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (٧٢) والأصل : نساء حور ، لكن لكثرة استعمالهم الصفة "حوراء" وجمعها صارت عندهم كالاسم وقامت مقامه ونعتت نعته ، ولذا لا يُلحظ حذف الموصوف هنا إلا بشيء من التدبر وتحليل السياق ، فصار إيراد المنعوت بأجمل ما فيه مغنياً عن ذكره .

ب - حذف جواب الشرط :

حذف جواب الشرط قليل في القرآن لكنه في المواضع القليلة التي جاء فيها كان له النصيب الأعلى من البلاغة والجمال ، قال الخطابي عن حذف الجواب في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ (الرعد:٣١) " حذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة ، وإنما جاز حذف الجواب في ذلك وحسُن لأن المذكور منه يدل على المحذوف والمسكوت عنه من جوابه ، لأن المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به ، والمعنى : لو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كُلم به الموتى لكان هذا القرآن ، وقد قيل إن الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر ، لأن النفس تذهب في الحذف كل مذهب ، ولو ذكر الجواب لكن مقصوراً على الوجه الذي تناوله الذكر ، فحذف الجواب كقوله : لو رأيت علياً بين الصفين ! وهذا أبلغ من الذكر لما وصفنا ، وكذلك قوله سبحانه ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر:٧٣) والمعنى كأنه قيل : لما دخلوها حصلوا على النعيم المقيم الذي لا انقطاع له ولا تكدير فيه "[٣٨] وقال الرماني: " وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر

[٣٨] – بيان إعجاز القرآن ، الخطابي:٥٢ ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم ، تحقيق:د/محمد خلف الله أحمد و د/ محمد زغلول سلام ، ط٤ دار المعارف١٩٩١م.

لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان فحذف الجواب في قولك : لو رأيت علياً بين الصفين ، أبلغ من الذكر لما بيّناه " [٣٩].

وفي سورة الرحمن في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾(٣٧) قال أبو حيان :" جواب إذا محذوف ، أي : فما أعظم الهولَ " [٤٠] وعدّه كذلك بعض المعاصرين بقوله :" جملة الشرط مستأنفة ، جملة " فكانت " معطوفة على جملة " انشقت " والجار " كالدهان " متعلق بنعت لـ" وردة " وجواب الشرط محذوف ، أي : رأيت هَوْلاً عظيماً " [٤١] .

ومن شواهد حذف جواب الشرط في القرآن الكريم :

١- ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾(النور:١٠)

٢- ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾(السجدة:١٢)

ج - حذف المفعول :

يقول عبد القاهر في بلاغة حذف المفعول :" اعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية ، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات

---

[٣٩] – النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ٧٧ ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق : د/محمد خلف الله أحمد و د/ محمد زغلول سلام ، ط٤ دار المعارف ١٩٩١م .

[٤٠] – أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط : ١٠ / ٦٥ ، وأشير هنا إلى أن هذا الوجه أحد وجوه الإعراب في الآية ، والوجه الثاني أن يكون جواب الشرط مذكوراً في قوله تعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ ﴾(٣٩).

[٤١] – د/ أحمد بن محمد الخراط : مشكل إعراب القرآن :١/ ٥٣٢، نسخة إلكترونية .

المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين .. ومثال ذلك قول الناس : فلان يحل ويعقد ، ويأمر وينهي ، ويضر وينفع .. والمعنى في جميع ذلك إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت: صار إليه الحل والعقد ، وصار بحيث يكون منه حل وعقد " [٤٢].

وقد ورد حذف المفعول في السورة في مواضع منها :

١- في قوله تعالى ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ حُذف المفعول الأول لعلّم المتعدي لمفعولين حيث إن المفهوم من السياق أن ذلك التعليم واقع لبعض الخلق من الإنس أو الجن .. ولكن الجمال يأتي هنا من حذف المفعول الواقع عليه التعليم ؛ لأنه لو ذُكر انصرف الذهن إليه وتناسى غيره ، فكان الحذف دالاً على الإطلاق والعموم ، أي أنه علّم القرآن لرسوله ﷺ ولكثير من الملائكة والإنس والجن .. وهذا أنسب للسياق .

٢- في قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) حُذف مفعول يسأل ، قال ابن عاشور :" وحذف مفعول" يسأله" لإفادة التعميم ، أي يسألونه حوائجهم ومهامهم من طلوع الشمس إلى غروبها " [٤٣] .

٥ - المبنيّ لما لم يسمَّ فاعله :

يُبنى الفعل للمعلوم إذا ذُكر فاعله في الكلام ظاهراً أو مضمراً ، وهذا هو الأسلوب الشائع في العربية ، ولا يُعدل عنه إلا لأسباب سياقية خاصة ، ففي

[٤٢] - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز : ١١٢ط دار المعرفة ، بيروت .

[٤٣] - محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير :١٤/٣٧٠.

بعض السياقات يُبنى الفعل لما لم يسمَّ فاعله أو كما سماه بعض النحاة : المبني للمجهول ، أي بدون ذكر الفاعل ، ولذلك أسباب منها الإبهام لتفخيم أمر الفاعل أو للجهل به أو للخوف من ذكره صريحاً أو لتمام العلم به .. وهذا الأسلوب كثير في القرآن ، لكنا لاحظنا كثرته في الأخبار عن اليوم الآخر في القرآن الكريم كما في المواضع الآتية :

١- ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(الأعراف : ٤٣)

٢- ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ . وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ . وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (الشعراء :٩٠-٩٢)

٣-﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ (القصص :٦٤)

ومن تدبّر الآيات السابقة في أحداث الآخرة نستطيع أن نقول : إنها تشعر بطلاقة القدرة الإلهية وأن الأمور هنالك تتمّ بالتسخير الكامل المطلق لله وحده إذ هو قد أعطى الإنسان القدرة على الاختيار والعمل في الحياة الدنيا ، أما هنالك فالأمر مختلف ، أضف إلى ذلك تهويل أمر الآخرة وتعظيمه لتخويف المعاندين والمستكبرين .

وقد أشار عبد القاهر إلى بعض جمال هذا اللون من الإسناد النحوي في قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود : ٤٤) بقوله :" ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أُمرت .. ثم أن قيل : وغيض الماء ، فجاء الفعل على صيغة (فُعِلَ) الدالة على أنه لم يَغِضْ إلا بأمر آمر وقدرة قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى "وقضي الأمر " ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور ، وهو " واستوت على الجوديّ " ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو

شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ، ثم مقابلة قيل في الخاتمة بقيل في الفاتحة " [٤٤] .

وفي سورة الرحمن سنجد أكثر أفعال السورة مبنية للمعلوم لأن هذا هو الأصل في كلام العرب ، ولا يُلجأ إلى البناء لما لم يسمَّ فاعله إلا لأسباب سياقية خاصة وقد جاءت ثلاثة أفعال من هذا النوع في سورة الرحمن هي :

- ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ ﴾(٣٥) .
- ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ ﴾(٣٩).
- ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴾(٤١).

فالموضع الأول في ذكر محاولات الجن والإنس للنفاذ من أقطار السماوات والأرض ، وثمة وعيد بأن يُرسَل عليهما شواظ من نار ونحاس إذا حاولوا .. وبناء الفعل لما لم يسمَّ فاعله في هذا المقام أنسب للسياق الذي يوحي بالغموض والتحذير ، أما الموضعان الآخران فهما – كما ذكرنا من قبل – في سياق الحديث عن أمور الآخرة التي يُفضّل فيها هذا اللون التعبيري في مواضع كثيرة من القرآن .

وحين نتدبر الموضع الأخير سنجد أن حذف الفاعل حقق بلاغة خاصة في هذا السياق ، فلو ذُكر لاقتصر الذهن عليه فتكون معرفة المجرمين يوم القيامة بسيماهم مقصورة على ذلك الفاعل ، ولكنه حذف لقصد العموم ، فكل من يرى أولئك المجرمين في ساحة الحساب سيعرفهم من سيماهم بسواد الوجوه وزرقة الجلود .. وذلك أشمل لخزيهم ونشر عارهم وفضيحتهم .

٦ – من وجوه الإعراب في سورة الرحمن :

[٤٤] – دلائل الإعجاز : ٣٧ .

إن احتمال النص لتعدد الفهم ينتج تعدداً إعرابياً على مستوى الجملة ، لأن الإعراب كما يقول النحاة فرع المعنى ، وذلك التعدد في كثير من الحالات يثري المعنى ويظهر ثراء دلالة النص ما لم يصر تعسفاً أو جوراً على سياق الكلام .

ومن ذلك في سورة الرحمن :

١- في قوله تعالى ﴿ أَلاّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ ٨ ، قال الفراء :" إن شئت جعلتها مجزومة بنية النهي ، وإن شئت جعلتها منصوبة بأن .. وأن تكونَ " تطغوا " في موضع جزم أحب إليّ ؛ لأن بعدها أمراً " [٤٥].

وهذا التعدد ناشئ من التعدد الوظيفي لحرفي المعنى " أن ولا " في العربية ، فالاحتمال هنا أن تكون "أن " مفسرة بمعنى " أيْ " ولا بعدها ناهية جازمة ، أو تكون ناصبة ولا بعدها نافية غير عاملة ، ولكن الفراء بذوقه اللغوي وجد مرجّحاً سياقياً لاختيار الجزم هو وجود فعل الأمر (أقيموا) بعده ، وهو مبني على حذف النون الذي هو بديل الجزم بحذف النون في مضارعه .

٢- ثمة سبب آخر لتعدد الأوجه الإعرابية في السورة هو تعدد قراءات اللفظ الواحد ، ومعلوم أن القراءات هي الأوجه المتعددة التي سمح النبي ﷺ للمسلمين بتلاوة القرآن بها تلقياً عن جبريل عليه السلام وفيها تيسير على العرب لتعدد لهجاتهم ، وقد أورد ابن الجزري في النشر مواضع عديدة منها قوله تعالى ﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾(١٢) قال: " واختلفوا في (والحب ذو العصف والريحان) فقرأ ابن عامر بنصب الثلاثة الأسماء وكذا كتب (ذا العصف) في

[٤٥] – الفراء : معاني القرآن : ١١٣/٣.

المصحف الشامي بألف ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (والريحانِ) بخفض النون ، وقرأ الباقون بنصب الأسماء الثلاثة (وذو العصف) في مصاحفهم بالواو " [٤٦] .

ثانياً : النحو وإيقاع الفاصلة :

تنبه كثير من المفسرين للجمال الناشئ عن التكرار والبناء الخاص للفاصلة وصور الإيقاع في سورة الرحمن ، وكيف ينسجم ذلك مع دلالات التراكيب في السورة ، قال سيد قطب :" هذه السورة المكية ذات نسق خاص ملحوظ ، إنها إعلان عام في ساحة الوجود الكبير ، وإعلام بآلاء الله الباهرة الظاهرة ، في جميل صنعه وإبداع خلقه وفي فيض نعمائه وفي تدبيره للوجود وما فيه، وتوجه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم . . وهي إشهاد عام للوجود كله على الثقلين : الإنس والجن المخاطبين بالسورة على السواء ، في ساحة الوجود على مشهد من كل موجود مع تحديهما إن كانا يملكان التكذيب بآلاء الله ، تحدياً يتكرر عقب بيان كل نعمة من نعمه التي يعددها ويفصّلها ، ويجعل الكون كله معرضاً لها ، وساحة الآخرة كذلك ، ورنّة الإعلان تتجلى في بناء السورة كله ، وفي إيقاع فواصلها . . تتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى ، وامتداد التصويت إلى بعيد " [٤٧].

إن القرآن الكريم يعطي الفواصل أهمية كبرى ، فهي التي يوقف عليها أثناء التلاوة ، وبها تنتهي الآيات ، ولها أهميتها الدلالية والصوتية ، والتكرار الإيقاعي ظاهر في أكثرها ، والقرآن نزل على أساليب العرب في الكلام ، مع الفارق بينه وبين كلام العرب بطبيعة الحال .

---

[٤٦] – ابن الجزري : النشر في القراءات العشر : ٣٨٠/٢ ، ط دار الفكر – بيروت د.ت.

[٤٧] - سيد قطب : في ظلال القرآن:٧ / ٩٢، نسخة إلكترونية ضمن برنامج المكتبة الشاملة .

إن مراعاة الفاصلة والإيقاع السمعي وما يحدثه تركيب الكلمات من أثر صوتي ... كل ذلك له اعتباره في التركيب القرآني ، وهو كذلك سبب من أسباب التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، وهو مع ذلك يرتبط بالدلالة ارتباطاً وثيقاً ، ولعله لهذا السبب جاء الأمر بترتيل القرآن ترتيلاً ، والترتيل هو الأداء الصوتي للقرآن على نحو مخصوص معلوم من علم التلاوة .

والإيقاع أساس من أسس القول البليغ يحرص عليه المبدع لأنه عامل أساسي في إيصال المعنى إلى المتلقي ، لا ينكر ذلك متذوق لفن القول ، على أن هذا يخص الأعمال الإبداعية التي يجتهد أصحابها في عملها لا الكلام المرسل أو الشعر المرسل الذي يهمل كثيراً من الظواهر الإيقاعية .

والفواصل القرآنية قد روعي فيها ذلك كأحسن ما يكون وأجمله ، ولقد استغل القرآن الإمكانات الهائلة في العربية لصوغ الجملة وتكوين الإيقاع الذي هو أحد أسس هذه اللغة .

- إيقاع الفاصلة في سورة الرحمن :

جاء مساق الفواصل في سورة الرحمن على ثلاثة أحرف هي : النون في (٦٩) فاصلة والميم في سبع والراء في اثنتين ، والصامت الأخير الذي يحمل صوت الفاصلة هو من كلمة مختارة لتقوم بمهمتين : دلالية وإيقاعية معاً ، والتوصل إلى وضع الكلمة لتقوم بهاتين المهمتين هو عملية نحوية ، كما سنفصل في السطور الآتية .

وخصوصية إيقاع الفاصلة في سورة الرحمن تأتي من كونها مبنية في أكثرها على مساق التثنية في خطاب الثقلين : الإنس والجنّ ، وهو ما تنفرد به السورة في مساق الخطاب للمثنى وما يتطلبه ذلك من نمط تعبيريّ خاص.

١ - الفواصل النونية :

كثر في الفواصل القرآنية ختمها بالنون مسبوقة بالمد لإحداث نوع من الغنة الصوتية المحببة للسمع ، حيث إن أكثر الحروف العربية إظهاراً للغنة والترنّم حرفا النون والميم ، ولذا نجدهما أكثر الحروف استعمالاً في فواصل القرآن ، فالفواصل النونية جاءت في حوالي ٥٠% من فواصل القرآن والميمية في حوالي ١٢% منها .

وبعض النحاة كان ينبه على القيمة الصوتية للفاصلة كما قال الفراء في قوله تعالى ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾(الرحمن : ٢٩) قال حين سئل عن همز" شأن" أهمزُه في كل القرآن إلا في سورة الرحمن لأنه مع آيات غير مهموزات " [٤٨].

ومن المعلوم أن مساق الخطاب في سورة الرحمن هو بصيغة المثنى لأن الخطاب للثقلين الإنس والجن وهو مدار التكرار في السورة ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ والمثنى في العربية مخصوص بصيغ خاصة في الاسمية والفعلية ، ونحن نتصور أن حالة الرفع هي الحالة الأصلية للعربية ثم يطرأ النصب والجر والجزم لتغير المعنى وموقع الكلمة في الجملة ، وفي حالة الرفع في المثنى غير المضاف تثبت الألف والنون في نهاية اللفظ ، وفي حالة إسناد الفعل مرفوعاً إلى ألف الاثنين تثبت كذلك الألف والنون كما في (يفعلان وتفعلان) .

ولكن ليست صيغة المثنى المذكورة وحدها التي تنتهي بالألف والنون ؛ فثمة كلمات كثيرة في بنيتها الصرفية الألف والنون في نهاية الكلمة ، وبهذا يتوافق

[٤٨] – الفراء : معاني القرآن : ١١٦/٣.

الإيقاع بين المثنى وهذه الكلمات حين يجعلها التركيب اللغوى فاصلة للكلام أو قافية يوقف عليها فتختفي حركة النون بسكون الوقف .

ويمكن أن نقسم أنواع الفواصل النونية في السورة على النحو الآتي :

أ- الفاصلة النونية الفعلية : وهي دائماً فعلٌ من الأفعال الخمسة مرفوع بثبوت النون ومسند إلى ألف الاثنين ، وقد ورد الفعل تكذبان في إحدى وثلاثين فاصلة ، ووردت خمسة أفعال أخرى بالصيغة نفسها هي (يسجدان (٦) – يلتقيان (١٩) – يبغيان (٢٠) – تنتصران ٣٥) – تجريان (٥٠) فيكون مجموع الفواصل الفعلية في السورة ستاً وثلاثين فاصلة من نوع واحد فهي كلها مرفوعة بثبوت النون لتُظهر التوافق الإيقاعي في الفواصل الذي هو مكوِّن أساسي من مكونات الأسلوب القرآني ، ولعل في هذا أكبر دليل على التوافق والانسجام بين معطيات النحو والإيقاع في أسلوب القرآن الكريم.

وتحقق الإيقاع والجمال الصوتي تتعانق فيه الدلالة مع التركيب اللغوي ؛ حتى لا يزعم زاعم أن القرآن يأتي باللفظ لمجرد تحقيق الإيقاع ، فالفعل تجريان على سبيل المثال بصيغة المضارع دال على التجدد اللازم للماء العذب المتدفق من العينين في الجنة ، والفعل تكذبان بصيغة المضارع دال على تجدد التكذيب واستمراره من بعض الثقلين إلى يوم القيامة ، وهو ما يصدقه التاريخ والواقع .

ب- الفاصلة النونية الاسمية : وهي كما ذكرنا ترد في أسماء تحتوي بنيتها الصرفية على الألف والنون أو أسماء مثناة غير مضافة أكثرها مرفوع بالألف ، ومن ذلك (الرحمن- الميزان- الريحان- فان – آنٍ – جنتان ..).

وجاء لفظ المثنى مرفوعاً بالألف غير مضاف في كل فواصل السورة ما عدا موضعاً واحداً هو ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾(١٧) أما المرفوع فهو (الثقلان –٣١ ، جنتان – ٤٦ ، زوجان – ٥٢ ، جنتان – ٦٢ ، مدهامتان – ٦٤ ، نضاختان – ٦٦) .

وقد ذكرت من قبل أن القرآن في سورة الرحمن يقدم ذكر الإنس على الجن حين يقع لفظ الجن فاصلة ويقدم ذكر الجن على الإنس في غير الفاصلة ولكنه مع ذلك يختار من مادة " جنن " لفظاً آخر غير لفظ الجن ليحقق به إيقاع الفاصلة هو لفظ " جانّ " الذي جاء فاصلة في ثلاثة مواضع من السورة معطوفاً على لفظ " إنس " في الآيات (٣٩–٥٦–٧٤) وهذا من أكبر الدلائل على اهتمام القرآن بلفظ الفاصلة فيما أحسب .

ولأجل مساق خطاب التثنية السائد في السورة جاءت تثنية ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾(١٧) ولم يرد تثنية المغرب إلا في هذه السورة وورد في غيرها بالإفراد والجمع ، ومع توفية الدلالة حقَّها من تنويع اللفظ في المفرد والمثنى والجمع ليكون أدلَّ على الإحاطة والعموم فإن لفظ التثنية هو الحامل للنون المطلوبة للفاصلة كما نرى .

ومن عظيم اهتمام القرآن بالفاصلة وأثرها السمعي تأخير اللفظ الحامل لإيقاع الفاصلة كما في ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٥٨) فمن حيث المعنى هو أسلوب تشبيه لنساء الجنة بالياقوت والمرجان ، وإذا كان ذلك في كلامنا البشري فلا فارق بين تقديم أحدهما على الآخر من حيث المعنى الأصلي وهو إثبات التشبيه ، ولكن القرآن يؤخر اللفظ الحامل للفاصلة النونية المسبوقة بحرف الألف لتحقيق الإيقاع الجميل المؤثر ، وإذا أردنا اختبار ذلك بتقديم المرجان وجعل الياقوت فاصلة فسوف نفقد ذلك الجمال والتناسق ، ولعل ثمة وجهاً دلالياً لذلك التقديم لم أقف عليه من جهة حقيقة المشبه به وحقيقة تقديم أحدهما على الآخر

من جهة الدلالة ، وقد وجدنا مثل ذلك في آية أخرى هي ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾(٢٢) .

٢ - الفواصل الميمية :

وردت الفواصل الميمية كذلك متوافقة مع إيقاع النونية ، حيث تنتهي جميع كلماتها بحرفي الألف والميم وهي (الأنام (١٠) – الأكمام (١١) – الأعلام (٢٤) – الإكرام (٢٧–٧٨) – الأقدام (٤١) – الخيام (٧٢) .

والملاحظ أن بعض الفواصل الميمية لم تستعمل في القرآن إلا في هذا الموضع فقط مثل " الأنام " مما يدل على عظيم اهتمام القرآن بلفظ الفاصلة المناسب للمقام إيقاعاً ودلالة ، قال صاحب التحرير والتنوير :" والأنام: اختلفت أقوال أهلِ اللغة والتفسير فيه ، فلم يذكره الجوهري ولا الراغب في " مفردات القرآن " ولا ابن الأثير في " النهاية " ولا أبو البقاء الكفوي في " الكليات" وفسره الزمخشري بقوله :" الخلق وهو كل ما ظهر على وجه الأرض من دابة فيها روح " [٤٩] وهذا مروي عن ابن عباس وجمعٍ من التابعين ، وعن ابن عباس أيضاً : أنه الإنسان فقط ، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه ، وسياق الآية يرجح أن المراد به الإنسان ؛ لأنه في مقام الامتنان والاعتناء بالبشر ..والظاهر أنه اسم غير مشتق " [٥٠] هذا مع أن معنى اللفظ منه ألفاظ أخرى مستعملة في القرآن كالناس والإنس والبشر ، ولكن لفظ الأنام أنسب منها للمقام .

٣ - الفواصل الرائية :

[٤٩] – الزمخشري : الكشاف : ٤/ ٤٤٤.

[٥٠] – محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير :١٤/ ٣٥٧ .

وردت الفاصلتان الرائيتان متوافقتين مع الإيقاع العام للفواصل في السورة، حيث ختم اللفظان في آيتين متتاليتين بالألف والراء في (كالفخار – ١٤) و (من نار – ١٥) .

إن النحو لا شك هو المنظّم لوقوع اللفظ فاصلة ، ولو اختل شيء من التركيب اللغوي بتقديم أو تأخير لاختل الإيقاع والدلالة كذلك .

- الإحلال اللفظي في فواصل السورة :

تحدث البلاغيون والنحاة عن استعمال بعض الصيغ مكان بعض مثل استعمال فاعل مكان مفعول ، أو مفعول مكان فاعل أو الاستغناء بكذا عن كذا أو إجراء غير العاقل مجرى العاقل ... إلخ ، وهذا الإحلال ليس خروجاً على قواعد اللغة ، بل إنه جاء في كل حالة مراعياً السياق والدلالة المرادة ، ولم يكن ذلك يقع في الفواصل فحسب ، ولكنه فيها أكثر لحاجة الإيقاع إليه .

١– وفي سورة الرحمن عدّد القرآن أربع جنات في قوله ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾٤٦ ، وفي قوله ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ ٦٢، أي : وهناك جنتان أقل نعيماً من الجنتين السابقتين ، وذلك لمن خاف مقام ربه ، ولكن عمله وحسناته أقل ممّن تقدم ذكرهم ..

فما حقيقة تثنية الجنتين في الموضعين ؟

من المعلوم أن هذه الجنان هي درجات في جنة واحدة هي جنة الخلد التي وعد الله المتقين ، وإنما يذكر ذلك للتكثير والترغيب والدعوة إلى التسابق للفوز بعليا الجنان ، وفي الحديث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال :" فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ

فَاسْـأَلُوهُ الْفِـرْدَوْسَ فَإِنَّـهُ أَوْسَـطُ الْجَنَّـةِ وَأَعْلَـى الْجَنَّـةِ " [٥١] أي أفضـل موضـع فيهـا فالجنة درجات ، وينبغي للمؤمن التسابق للوصول إلى أعلاها ، وهذه التثنية تسمى "إحلال المثنى محل المفرد " ومنه هذه الآية ، وقد جعلها الزركشي من باب " تثنية ما أصله أن يُفرد ، ونقل عن الفراء أنه من باب " مذهب العرب في تثنية البقعة الواحدة وجمعها ، كما قال : ديارٌ لها بالرقمتين ، وقوله : بطن المكّتين ، وأشير بذلك إلى نواحيها .. وإنما ثناها لأجل الفاصلة رعاية للتي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن ، والقوافي تحتمل في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام " [٥٢] .

وفي بحث الآية نفسها عند الفراء قال :" ذكر المفسرون أنهما بستانان من بساتين الجنة ، وقد يكون فى العربية : جنة تثنيها العرب فى أشعارها ؛ أنشدنى بعضهم :

ومَهْمَين قَذَفَين مَرْتَين قطعته بالأَمَمِ لا بالسَّمْتين

يريد: مهمهاً وسمتاً واحداً ، وأنشدنى آخر:

يسعى بكيداء ولهذمين قد جعل الأرطاة جنتين

وذلك أن الشعر له قوافٍ يقيمها الزيادة والنقصان ، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام " [٥٣] ومن الواضح هنا تحرّج الفراء من ذكر إيقاع الفاصلة صراحة فأحال على قوافي الشعر.

---

[٥١]– رواه البخاري في صحيحه حديث رقم (٢٧٩٠) ط دار السلام الدولية بالرياض " مجلد الكتب الستة " ط ٣ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

[٥٢] – الزركشي : البرهان في علوم القرآن :٩٥/١، دار الفكر ، بيروت – لبنان ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

[٥٣] – الفراء : معاني القرآن : ١١٨ .

قال ابن عاشور :" وإيثار صيغة التثنية هنا لمراعاة الفواصل السابقة واللاحقة ، فقد بنيت قرائن السورة عليها ، والقرينة ظاهرة وإليه يميل كلام الفراء ، وعلى هذا فجميع ما أجري بصيغة التثنية في شأن الجنتين فمراد به الجمع " [٥٤] .

إن ذكر الفاصلة بلفظ الجنة مفردة أو مجموعة في فواصل سورة الرحمن يذهب بالإيقاع كما ترى ، فالتثنية محققة لإيقاع الفاصلة ، والجنة ترد في القرآن مفردة لأنها حقيقة جنة واحدة ، وجاءت مجموعة لأنها درجات ودرجات، فكأن الجمع فيها للتكثير لا لحقيقة العدد ، ولم يبق من صور اللفظ غير التثنية فجاءت في سورة الرحمن ، ولعله الموضع الوحيد الذي جاءت جنة الآخرة فيه مثناة ، ليستوفي ذكر الجنة صور اللفظ الثلاث ، وهو تلوين للكلام وزيادة في البيان والإكرام لا ريب .

لهذا كله كان للسورة وقع خاص عند النبي ﷺ وصحابته ، روى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا ، فقال : لقد قرأتُها على الجن ليلةَ الجن فكانوا أحسنَ مردوداً منكم ، كنتُ كلما أتيتُ على قوله ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا:ولا بشيء من نعمك ربَّنا نكذّبُ فلك الحمد"[٥٥].

٢- في قوله تعالى ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾(٥٢) قال ابن عاشور:" وأما تثنية زوجان فإن الزوج هنا النوع ، وأنواع فواكه الجنة كثيرة وليس لكل فاكهة نوعان ، فإمّا أن نجعل التثنية بمعنى الجمع ونجعل إيثار صيغة التثنية

---

[٥٤] – محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير :١٤/ ٣٨٤.

[٥٥] – رواه الترمذي في السنن : ٥/ ٣٩٩ ، ط دار الحديث ، وهو في صحيح الجامع للسيوطي بتحقيق الألباني : ٢/٩١٤.

لمراعاة الفاصلة ولأجل المزاوجة مع نظائرها من قوله ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(٤٦) إلى هنا ، وإما أن نجعل تثنية " زوجان " لكون الفواكه بعضها يؤكل رطباً وبعضها يؤكل يابساً مثل الرطب والتمر والعنب والزبيب " [٥٦].

ثالثاً : النحو والتكرار في سورة الرحمن :

التكرار ظاهرة لغوية عرفتها العربية في كل عصورها ، وهي ظاهرة متشعبة وذات صور متنوعة ، وللتكرار أنواع كثيرة ، أهمها تكرار الحروف والكلمات ، والجمل الاسمية والفعلية ، وكذلك الأوزان والقوافي .. وكل ذلك وفق نظام بلاغي مُعجز .

وحديثنا هنا عن التكرار في سورة الرحمن ، ونمهد لذلك ببيان أنواع تكرار الجمل في القرآن الكريم ، وهو نوعان :

الأول : تكرار الجمل المتقاربة ، ونعنى به تكرار الجملة الواحدة – سواء كان تامّاً أم منوعاً – في مواضع متقاربة من سورة واحدة ، أو في سورة واحدة على الأكثر .

الثاني : تكرار الجمل المتباعدة ، بمعنى أن تأتي الجملة في أكثر من سورة ، وغالباً ما يكون هذا اللون من التكرار منوعاً ، بتغير حرف أو زيادة كلمة أو تقديم أو تأخير .. إلخ ، وكل ذلك يقع لدلالات بلاغية تعرف من السياق بالتدبر الدقيق ، ولهذا قال ابن الأثير :" وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة فيه ، فانظر إلى سوابقه ولواحقه ،

[٥٦] – محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير :١٤/ ٣٨٥.

لتتكشف لك الفائدة منه " [٥٧] وقال يحيى بن حمزة العلوي صاحب الطراز :" وهكذا القول فيما ورد من الآيات المكررة ، فإنها لم تتكرر إلا لمقصد عظيم في الرمز إلى ذلك المعنى الذي سيقت من أجله " [٥٨].

وهذا اللون من التكرار بنوعيه في القرآن الكريم هو الذي انصبت عليه عناية المفسرين والبلاغيين منذ التفتوا إلى التكرار في القرآن ، فكانت من ذلك إشارات قيمة في تفسير الكشاف للزمخشري، ووضع اثنان من كبار الدارسين القدماء دراستين في هذا اللون ، نعني بذلك الخطيب الإسكافي في كتابه " درة التنزيل وغرة التأويل " [٥٩] والكرماني في كتابه" البرهان"[٦٠].

وقد ورد النوع الأول في عدة مواضع في القرآن الكريم ، ولعل أظهرها التكرار في سورة الرحمن والمرسلات والكافرون ، وحديثنا هنا عن سورة الرحمن وسنورد أولاً بعض ما ذكره الدارسون حول هذا التكرار ، ثم نتبعه بشيء من التفصيل .

لقد لفت التكرار في سورة الرحمن انتباه الدارسين منذ القدم ، كما لفت أنظار العرب الذين نزل عليهم أول مرة ، ذلك أنه تكرار ذو إعجاز بلاغي وجمالي أخّاذ ، استعمل فيه القرآن ظاهرة معروفة في كلام العرب لكن بأسلوب متفرد جميل ، ولو

---

٥٧ – ابن الأثير : المثل السائر : ٨/٣ ، دار نهضة مصر د.ت .

٥٨ – يحيى بن حمزة العلوي:الطراز : ١٧٩/٢ ، مطبعة المقتطف ١٣٣٢هـ-١٩١٤ م.

٥٩ – الخطيب الإسكافي : درة التنزيل وغرة التأويل ، ط٤ دار الآفاق الجديدة ت بيروت ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٦٠ – محمود بن حمزة الكرماني : البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، نشره عبد القادر أحمد عطا بعنوان : أسرار التكرار في القرآن ، ط٣ دار الاعتصام ١٣٩٨هـ –١٩٧٨م .

كان الأسلوب الذي نزلت به السورة خارجاً عن معهود كلامهم لثارت ثائرتهم، وهم الذين كانوا يجتهدون في إيجاد مغمز يغمزون به القرآن .. فالأسلوب عربي أصيل أُخِذ به الإنس والجن على حد سواء ، كما ذكرنا في حديث الترمذي الذي ذكر فيه استماع الجن إلى سورة الرحمن وتأثرهم بها .

ومن الذين تحدّثوا عن التكرار في سورة الرحمن ابن قتيبة ، قال : " وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزئ عن بعض كتكراره في﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ وفي سورة الرحمن بقوله ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فقد أعلمتك أن القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز " [٦١].

وقال المرتضى : " فأما التكرار في سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المتعددة ، فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها ، ووبّخ على التكذيب بها ، كما يقول الرجل لغيره : ألم أحسن إليك بأن خوّلتك الأموال؟ ألم أحسن إليك بأن خلصتك من المكاره ، ألم أحسن إليك بأن فعلت كذا وكذا؟ فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به ، وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم " [٦٢].

ولتأييد كلامه ذكر المرتضى أمثلة متعددة من الشعر العربي نجتزئ منها ببعض الأبيات:

– قول مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً :

على أنْ ليس عِدلاً من كُليبٍ إذا طُردَ اليتيمُ عن الجزورِ

---

[٦١] – ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن:٢٣٥ ، ط٢ دار التراث ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣ م .

[٦٢] – الشريف المرتضى : أمالي المرتضى :١٢٣/١، ط الحلبي ١٣٧٣ هـ– ١٩٥٤ م .

على أن ليس عِدلاً من كليبٍ إذا ما ضيمَ جيرانُ المُجيرِ

على أن ليس عِدلاً من كليبٍ إذا رجفَ العِضاهُ من الدبُورِ

على أن ليس عِدلاً من كليبٍ إذا خرجت مُخبأةُ الخُدُورِ [٦٣]

- وقول ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحميّر :

لنعم الفتى يا توبَ كنتَ إذا التقتْ صُدُور الأعالي واستشالَ الأسافلُ

ونعم الفتى يا توبَ كنت ولم تكنْ لتُسبق يوماً كنتَ فيه تحاولُ

ونعم الفتى يا توبَ كنت لخائفٍ أتاك لكي يُحمى ونعمَ المُجامِلُ

ونعم الفتى يا توبَ جاراً وصاحباً ونعم الفتى يا توبَ حين تفاضِلُ

وقال أبو هلال العسكري : " وقد كرر الله عز وجل في سورة الرحمن قوله ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وذلك أنه عدد فيها نعماءه، وأذكرَ عبادَه آلاءَه ، ونبههم على قدرها وقدرته عليها ، ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة – أي الآية المكررة – بين كل نعمة ليُعرَف موضع ما أسداه إليهم منها،وقد جاء مثل ذلك – يعني في الأسلوب – عن أهل الجاهلية ، قال مهلل :

على أن ليس عِدلاً من كليب

فكررها في أكثر من عشرين بيتاً ، وهكذا قول الحارث بن عباد :

قرِّبا مربطَ النعامة مني

[٦٣] – العدل (بالفتح) ما عادل الشيء من غير جنسه ، والعدل (بالكسر) المثل والنظير ، والجزور : الناقة الذبيح ، والعضاه : شجر ، والدبور : ريح باردة شديدة .

كررها أكثر من ذلك ، هذا لما كانت الحاجة إلى تكرارها ماسة ، والضرورة إليه داعية .. فهذا يدل على أن الإطناب في موضعه عندهم مستحسن ، كما أن الإيجاز في مكانه مستحب " [٦٤].

وقال عبد الجبار المعتزلي :" وإنما كرر تعالى في هذه الآيات الكثيرة ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لأنه ذكر نعمة بعد نعمة ، فأتبعه ذلك ، وهذا مما يحسن مما يذكِّر نعمَه وأياديه ، فإن قال : ففي جملة الآيات ما ليس نعمة كقوله ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ (٤٤) إلى غير ذلك، وجوابنا أن ذلك من النعم إذا تدبّره المرء وخاف منه صار زاجراً له عن المعاصي"[٦٥].

وهذه الأقوال كما نرى بعضها من بعض ينقلها الخالف عن السالف ، مزيداً عليه عبارة أو منقصاً أو مبدلاً .. إلخ ، غير أنّا نجد بعض التفصيل عند الخطيب الإسكافي الذي يطيل الكلام على عادته ، فبسط رأيه هنا في صفحات ... ولخصه عنه الكرماني فأحسن وأفاد ، قال الكرماني :" كرر الآية إحدى وثلاثين مرة ، ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم ، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم ، وحسن ذكر الآلاء عقيبها لأن في صرفها ودفعها نعماً توازي النعم المذكورة ، أو لأنها حلّت بالأعداء ، وذلك يعد أكبر النعماء ، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة ، وثمانية بعدها للجنتين

[٦٤]– أبو هلال العسكري : الصناعتين : ١٩٤، المكتبة العصرية – بيروت د.ت .

[٦٥]– عبد الجبار المعتزلي : تنزيه القرآن عن المطاعن : ٤٠٩–٤١٠، دار النهضة الحديثة – بيروت د.ت .

اللتين من دونهما ، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ، ووقاه السبعة السابقة ، والله تعالى أعلم " [٦٦].

والتكرار عند المحدثين من الروابط النصية ، وهو نمط تعبيري خاص يلجأ إليه المبدع لجذب الانتباه أو التوكيد .. إن " أنماط الجمل فى الإعراب والاشتقاق قد تتكرر ، لكنها تظل كذلك أشكالاً تعبيرية " [٦٧] فالنمط المكرر له قيمته التعبيرية الخاصة به التي لا توجد فى النص إلا بوجوده .

والتكرار في سورة الرحمن في ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يعدّ بمثابة نقطة ارتكاز يعود إليها السياق بعد كل معنى جديد يقدمه ، فتكرار الآية بما فيها من التوبيخ والتقريع وبأسلوبها الاستفهامي الدال على ذلك أشبه بطرقات قوية على النفس الإنسانية ، فالمكذب من الإنس والجن عليه أن يتحمل وزر تكذيبه ، وها هو السياق يلحّ عليه إلحاحاً بهذه الجملة المكررة بنصها دون تغيير وبهذا العدد الكبير من مواضع التكرار ، أما المؤمن الذي يتلقى هذا التكرار فإنه مخبت إلى ربه تائب خائف من عقابه ، ويمثل هذا التكرار له تذكيراً دائماً وتحذيراً متصلاً من سلوك المكذبين ، والله أعلم .

---

[٦٦] – الكرماني : البرهان : ١٩٨.

[٦٧] – رينيه ويليك وأوستن وارين : نظرية الأدب :٢٣٠.

الخاتمة

ابتدأت هذه الدراسة وأمامي دراسات كثيرة تفصل بين مستويات الدرس اللغوي فصلاً مفتعلاً يجعل كلاً منها شيئاً قائماً بذاته ، وهو ما يضيع على دارسي النصوص فرص التذوق الفني والجمالي للنصوص ، حين لا يرى النحوي من النحو إلا صنعة الإعراب ومعيارية الضبط ولا يتجاوزها إلى آفاق أخرى ممكنة .. وحين لا يرى البلاغي إلا صنعة البلاغة المجردة فيما انتهت إليه من صورتها المدرسية الجافة دون التجاوز إلى ربطها بالتراكيب اللغوية وصور الإيقاع اللفظي التي هي إحدى أسس الجمال في النصوص ذات الصبغة الإبداعية .

هذا فيما أزعم هو السائد في كثير من الدرس النحوي والبلاغي قديمه والحديث ، لكن نفراً قليلاً من الدارسين القدماء والمحدثين حاولوا كسر هذا الحاجز وتجاوز النظرة التقليدية إلى استغلال الإمكانات الكبيرة المتاحة من أدوات النحو والبلاغة للنفاذ إلى أعماق النصوص واستكشاف أسرارها والوقوف على كثير من مكوناتها الجمالية ، وبخاصة النصوص ذات الصبغة الجمالية والإبداعية التي يهتم بها مبدعوها اهتماماً خاصاً.

وقد كشفت الدراسات القليلة المنجزة في هذا الشأن عن فيض من المعرفة البيانية والجمالية التي لا تظهر إلا بمعايشة النصوص والتمرس بها والتسلح بأدوات التذوق اللغوي .

وفي هذا السياق جاءت دراستنا هذه محاولة متواضعة للكشف عن أوجه من العلاقة بين النحو والإيقاع والدلالة من خلال نص قرآني مقدس (سورة الرحمن) لنخرج بنتائج تؤكد أن درس النص ينبغي أن تتضافر فيه مستويات متعددة من أدوات الدرس اللغوي المتاحة لمزيد من التفسير والإضاءة والتذوق الفني والجمالي .

والله الموفق.

المصادر والمراجع

١. الألسنية – القسم الثاني ، ريمون طحان ، ط١٢ دار الكتاب اللبناني ١٩٨١م.

٢. أمالي المرتضى ، الشريف المرتضى ، ط الحلبي ١٣٧٣ هـ- ١٩٥٤ م .

٣. الإمتاع والمؤانسة ، أبوحيان التوحيدي ، ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

٤. الإيضاح في علل النحو ، أبو القاسم الزجاجي ، تحقيق : د / مازن المبارك، ط ٦ دار النفائس – بيروت ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٥. البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٦. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة الكرماني، نشره عبد القادر أحمد عطا بعنوان : أسرار التكرار في القرآن ، ط٣ دار الاعتصام ١٣٩٨هـ –١٩٧٨م .

٧. البرهان في علوم القرآن:الزركشي، دار الفكر، بيروت – لبنان ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

٨. بناء الجملة العربية ، د/ محمد حماسة عبد اللطيف ، ط١ دار الشروق ، القاهرة ١٤١٦هـ – ١٩٦٦م .

٩. بيان إعجاز القرآن ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم ، تحقيق : د/محمد خلف الله أحمد و د/ محمد زغلول سلام ، ط٤ دار المعارف ١٩٩١م .

١٠. تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، ط٢ دار التراث ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣ م .

١١.التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، نسخة إلكترونية ضمن برنامج المكتبة الشاملة .

١٢.التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د/ عبد السلام المسدي ، ط٢ الدار العربية للكتاب – تونس ١٩٨٦م .

١٣.تنزيه القرآن عن المطاعن،عبد الجبار المعتزلي،دار النهضة الحديثة– بيروت د.ت .

١٤.الجملة في الشعر العربي ، د/محمد حماسة عبد اللطيف، ط١ مكتبة الخانجي ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م .

١٥. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٦هـ-١٩٨٦ م .

١٦. درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الإسكافي ، ط٤ دار الآفاق الجديدة ت بيروت ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

١٧.دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ط دار المعرفة – لبنان ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

١٨. سر صناعة الإعراب،ابن جني،تحقيق: مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ١٩٥٤م.

١٩. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، ط دار الحديث، القاهرة د.ت.

٢٠. صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، طبعة دار السلام الدولية بالرياض" مجلد الكتب الستة " ط٣ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢١. الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، المكتبة العصرية – بيروت د.ت .

٢٢. الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي ، مطبعة المقتطف ١٣٣٢هـ-١٩١٤ م.

٢٣. علم اللغة العربية ، د/ محمود فهمي حجازي ، ط دار الثقافة ، القاهرة د.ت.

٢٤.الغريزة اللغوية ، ستيفن بنكر ، ترجمة : د/ حمزة بن قبلان المزيني ، نشر : دار المريخ الرياض ، السعودية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٥.في ظلال القرآن ، سيد قطب ، نسخة إلكترونية ضمن برنامج المكتبة الشاملة .

٢٦.الكتاب، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٣ الخانجي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٢٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لمحمود بن عمر الزمخشري ، ط٣ دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٨.اللغة الفنية ، د/محمد حسن عبد الله ، ط دار المعارف ، القاهرة د.ت.

٢٩.اللغة العربية- معناها ومبناها ، د/ تمام حسان ، ط٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م.

٣٠.اللغة وسلوك الإنسان ، ديريك بيكرتون ، ترجمة : د/ إياد محمد زياد كبة ، نشر : جامعة الملك سعود - الرياض - السعودية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٣١. المثل السائر ، ضياء الدين بن الأثير ، دار نهضة مصر د.ت .

٣٢.مشكل إعراب القرآن ، د/ أحمد بن محمد الخراط ، نسخة إلكترونية .

٣٣. معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار ، دار الكتب ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

٣٤.معجم الأدباء ، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية– بيروت ١٤١١هـ– ١٩٩١م .

٣٥.النحو عند ضياء الدين بن الأثير ، د/ عبد الرحمن الخالدي ، مجلة عالم الفكر ، مج : ٣٧ ، ع : ١(يوليو– سبتمبر) الكويت ٢٠٠٨ م .

٣٦.النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، ط دار الفكر – بيروت د.ت.

٣٧.نظرية الأدب،رينيه ويليك وأوستن وارين، ترجمة:محيي الدين صبحي–بيروت د.ت.

٣٨. النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم تحقيق: د/محمد خلف الله أحمد و د/ محمد زغلول سلام، ط٤ دار المعارف ١٩٩١م.

٣٩.الهوامل والشوامل ، مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي الأصبهاني)، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.